الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تيمة "الموت" في ديوان "أغاني الحياة" لأبي القاسم الشَّابي أنموذجا مقاربة موضوعاتية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد عربي حديث ومعاصر

إعــداد الطالبات:
- بسمة عنقور
- رفيدة بحير
- زهية فريجات

إشراف الدكتورة:
مريم كروش

نوقشت المذكرة علنا يوم: 05/29 /2025

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد الصديق معوش	أستاذ محاضر-أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
مريم كروش	أستاذ محاضر-أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
ياسين صلاح	أستاذ محاضر-أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

الموسم الدراسي: 1446/1445هـ-2024م/2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــان

نتقدّم بجزيل الشّكر وعظيم الامتنان إلى أستاذتنا المشرفة

مريم كروش التي كان لتوجيهاتها السّديدة، وملاحظاتها

العلميّة القيّمة، وصبرها الكبير، الدّور البارز في إنجاز هذه

الدّراسة، فلقد كانت مثالاً في المهنيّة والالتزام، ولم تبخل علينا بوقتها

وجهدها، فكانت خير داعم وموجّهٍ خلال مختلف

مراحل هذا العمل. فلك منّا كلّ التّقدير والعرفان.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بجزيل شكرنا إلى جميع أساتذتنا بالكلية،

وكل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد.

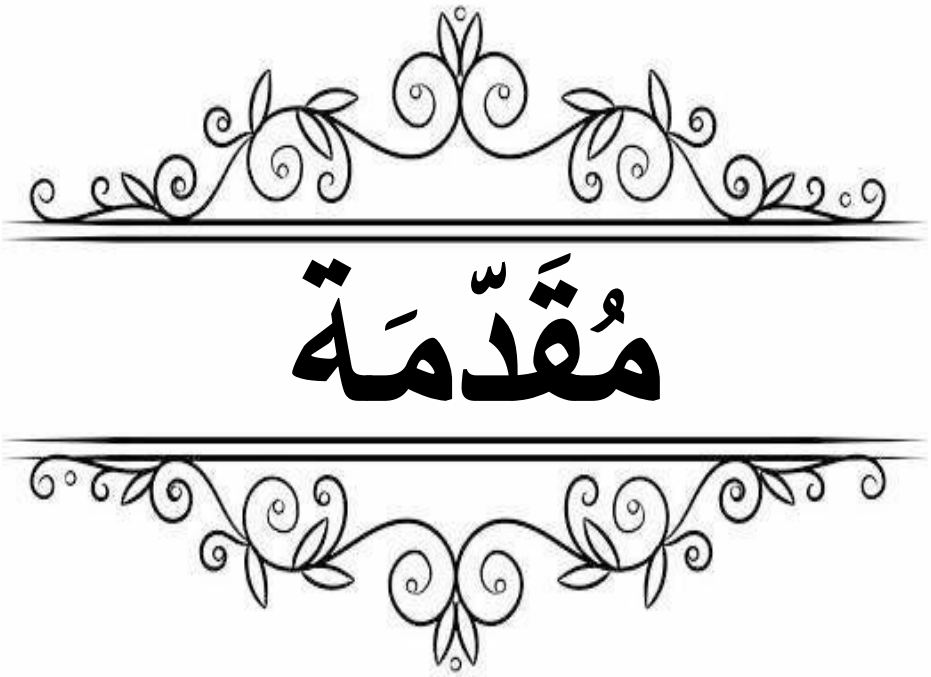

مُقَدّمَة

لطالما كان الشّعر ديوان العرب وسجلّ مشاعرهم وأفكارهم، ومرآة تعكس رؤاهم وتأمّلاتهم في مختلف جوانب الوجود، فينهض كلغة إنسانيّة سامية، قادرة على استيعاب أعقد المفاهيم وأعمق الأحاسيس، وتقديمها في صور فنيّة مؤثّرة، ومن بين القضايا الوجوديّة الكبرى التي شغلت بال الشّعراء على مرّ العصور قضية الموت كحقيقة محتومة ومصدر دائم للتّساؤل والتّأمل، لقد فجسدوها في صورًا شعريّة متنوّعة، عبّروا من خلالها عن خوفهم وقلقهم، فلم يكن تيمة الموت لديهم نهاية للحياة، بل محفّز للتّفكير في قيمتها ومعناها، وفي مصير الإنسان ورحلته في هذا العالم.

وإنّ تتبّع حضور تيمة الموت في الشّعر يكشف عن جانب أساسي من جوانب التّجربة الإنسانيّة لديهم، وفي هذا السّياق الشّعري الثّري، يبرز صوت الشّاعر التّونسي أبي القاسم الشّابي في ديوانه "أغاني الحياة" محل دراستنا كنموذج لتجلّيات هذه التيمة تحت عنوان: "**تيمة الموت في دّيوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشّابي أنموذجا مقاربة موضوعاتيّة**".

أما الأعمال السابقة حول الديوان وجدنا أن الدراسات حوله كثيرة وتناولت جوانب عديدة بمناهج مختلفة. ماعدا تيمة الموت والمقاربة الموضوعاتية.

ومن بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار البحث، هو الرّغبة العلميّة في دراسة التجربة الشعورية والنفسية للشاعر. والدوافع الموضوعية تمثلت أهمية تيمة الموت في الشعر الحديث، وقلة الدراسات الموضوعاتية.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن تيمة الموت وإبرازه كتيمة رئيسيّة في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشّابي، وعلاقتها بشبكة التيمات الفرعية. والتوصّل إلى لاواعي النص والشاعر.

تنطلق هذه الدّراسة من إشكاليّة مركزيّة تسعى إلى الإجابة عن التساؤل التّالي: كيف تجلّت تيمة الموت في ديوان أبي القاسم الشّابي؟ وما هي أبرز التيمات الفرعيّة التي تندرج تحت هذه التّيمة الكبرى؟ وما هي الدّلالات الفلسفيّة والنّفسية والجماليّة التي تحملها هذه التجليّات في سياق تجربته الشّعرية ورؤيته للحياة والكون؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات اتبعنا المنهج الموضوعاتي بمراحله الإجرائية الثلاثة: الإحصاء والتحليل والبناء. مع الاستعانة بأدوات تحليلية من الأسلوبية والسيميائية وعلم النفس، باعتبار أن المنهج الموضوعاتي منفتح على المناهج الأخرى.

فكانت البحث كالآتي: مقدمة ومدخل نظري حول المقاربة الموضوعاتية وسيرة أبي القاسم الشابي. وفصلين تطبيقيين، فتناول الفصل الأوّل التّيمات الغالبة في ديوان الشّابي، قبل وبعد اشتداد مرضه، من خلال تقنية إحصاء المفردات المتكررة بمتظهراتها الثلاث: الترادف والاشتقاق والقرابة اللغوية. وختم الفصل بالتعريف بتيمة الموت. وأما الفصل الثّاني تم فيه تحليل وتأويل التّيمات الفرعيّة وربطها بالتيمة الرئيسية، وكذا دراسة سيميائية لعنوان الديوان، وفي الأخير تم التركيب والبناء لما سبق من تحليل. وختم البحث بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها.

واستندت هذه الدّراسة إلى جملة من المصادر والمراجع، أهمها مقدّمتها ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشّابي، وكتاب جميل حمداوي نظريات النّقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، وكتاب محمد السّعيد عبدلي المنهج الموضوعاتي في النّقد الأدبي أسسه وإجراءاته، إضافة إلى كتاب سعيد علوش النّقد الموضوعاتي.

وقد اعترضت سبيل هذه الدّراسة بعض الصعوبات، منها الدّراسات القليلة حول تطبيق المنهج. وضبابية الصورة حوله. بالإضافة لارتباطنا بالعمل.

في الختام، نتوجّه بخالص الشّكر والتّقدير إلى الأستاذة الدّكتورة: مريم كرّوش، التي تفضّلت مشكورة بالإشراف على هذه البحث، وقدّمت لنا دعمها وتوجيهاتها القيّمة التي أثرت هذا العمل وأضاءت لنا جوانب مهمّة في مسيرة البحث.

الوادي في

2025/05/13م

مدخل

أولا–مفهوم النّقد الموضوعاتي

ثانيا–آليات المنهج الموضوعاتي

ثالثا–سيرة أبي القاسم الشابي

شكلت المناهج الحديثة ثورة فكرية شاسعة في مختلف الأصعدة مقدمة رؤى جديدة متجاوزة كل ما هو قديم، واتسعت هذه الثورة التي مسّت الجانب النقدي الذي أعاد التفكير في العديد من النظريات النقدية، ونتيجة هذا التحول الفكري الذي أنبأ عن الكشف عن مناهج نقدية حديثة بآليات جديدة وإجراءات مستحدثة، ومنها المنهج الموضوعاتي الذي ظهر خلال ستينيات القرن العشرين في أوروبا ممثلاً أرضية خصبة لعديد الرؤى الفلسفية، غير أن انتشاره في الوطن العربي تأخر لأكثر من عقد من الزمن، وقد ارتبط هذا التأخر بتصاعد النقد القائم على المضمون وازدهار القراءات التأويلية والأيديولوجية، إلى جانب تطور التحليل الوصفي والبنيوي واللساني.

أولا-مفهوم الموضوع لغة واصطلاحا:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (و. ض. ع)" وضع الوضع: ضد الرفع، وضعه ليضعه وضعاً وموضوعاً، وأنشد ثعلب ليُبيّن فيهما: موضوع جودك ومرفوعه عني بالموضوع: ما أضمره لم يتكلم به، والمرفوع: ما أظهره وتكلّم به".[1]

وجاء أيضا في معجم الوسيط (موضوعي: جمع (و، ض، ع) منسوب إلى موضوع، حكم موضوعي: أي حكم يحتكم إلى العقل والحقيقة بعيداً عن كل ما هو ذاتي، ومنه نقول: رجل موضوعي في أحكامه)[2].

ومن خلال هذين التعريفين يتّضح أنّ الموضوع هو القاعدة الأساسية التي يبني عليها الفكر ويُحتكم إليها العقل والمنطق برفع الغموض والإبهام عن المعنى بعيداً عن الأحاسيس والمشاعر الذاتية.

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، جذر(موت)، ج 55، مج6.د ت، ص 401

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة 2004.، ص 1040.

ب-الدلالة الاصطلاحية:

تنبني المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرّسالة المهيمنة أو الرّهان المقصدي أو البنية الدّالة التي تتمظهر في النّص أو العمل الأدبي عبر النّسق البنيوي وشباكته التعبيرية تمطيطا وتوسيعا أو اختصارا وتكثيفا، والبحث أيضا عمَّا يجسِّد وحدة النّص العضوية والموضوعية اتساقا وانسجاما وتنظيما[1].

ويستلزم النَّقد الموضوعي كذلك، قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي كتبها الأديب أو المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية واستكناه مرتكزها البنيوي المهيمن، وجمع كلّ الاستنتاجات في بوتقة تركيبية متجانسة ومتضامه، واستقراء اللاشعور النّصي عن المبدع، وربط صورة اللّاوعي بصورة المبدع على المستوى البيوغرافي والشخصي.

وعليه فالمقاربة الموضوعاتية هي التي تبحث في أغور النّص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولودّة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا، سواءً أكان ذلك في الشعر أوفي النثر، وتهدف هذه المقاربة إلى استخلاص البؤرة المعنوية، واستجلاء الخلية العنوانية، وتحديد الجذر الجوهري، واستخراج النّواة الأساسية التي يتمحور حولها النّص إسناداً وتكملة.[2]

ثانيا-أعلام النقد الموضوعاتي:

- النقد الموضوعاتي عند الغرب

ما يميز النّقد الموضوعاتي هو أن معظم رواده وأعلامه ينتمون إلى قطر جغرافي واحد وهو أوربا وبالأخص فرنسا التي تعدّ مهدا لاستقطاب المناهج النّقدية المعاصرة نذكر منهم:

1 د. جميل حمداوي، نظريات النّقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مكتبة سلمى الثقافية، ط1، 2015م، ص191.

2 ينظر: المرجع نفسه ص192.

1-غاستون باشلار GASTON BACHELARD (1884-1962)

غاستون باشلار هو فيلسوف فرنسي يمثل الأب الروحي الموضوعاتي مع أنه ليس بالناقد الأدبي فهو فيلسوف ابستيمولوجي، إلا أن اهتمامه بعناصر الكون الأربعة (الماء والهواء، التراب النار) وتأليفه لأعمال شاعرية مهمة مثل (التّخيل الشاعري، لهيب شمعة، شاعرية الفضاء، شاعرية الحلم، العقلانية المطبقة، المادّية العقلانية، الروح العلمية، جدليّة الاستمرار) جعلته يدخل مجال الأدب. فيرى أن الموضوع يتحدد من خلال غيابه ومن خلال معايشتنا له، أي أن هناك موضوع وذات واعية وحلم ينشأ بالتقاء الذات بالموضوع.

_ من أبرز مؤلّفاته في المنهج:

التّحليل النّفسي للنار-الماء والأحلام -الهواء وأوهام الحلم-التراب وأحلام يقظة الإرادة-شاعرية الفضاء-شاعرية أحلام اليقظة.

2-جورج بولي George Poulet(1902 -1991)

استمد جورج بولي أرضية الموضوعاتية من باشلار " الذي يرى فيه مؤسس نقد أدبي جديد وجريء ينضوي تحت شعار الوعي المعاين في تجسيد الصور"[1]

" فلقد انصبّ كل اهتمامه في الوعي المبدع من خلال أشكال التي يعرضها بصورة شبكات تخيّلية. كما أنه يعتبر امتدادا لوجهة النظر الروحانية لمؤسسي (مدرة جينيف) بتعريفه العقلي والحسي معا، لمبدأ الأنا المفكرة cogit"[2]

وحاول أن يجد في كتابات الكتاب موقعا ابتدائيا يأخذه على عاتقه ويسعى لصورة لا شعورية إلى الهروب منه أو إلى تنظيمه، وفي هذه الحالة يصبح الأثر علامة على انتصاره أو على اخفاقه.

---

[1] رضوان ظاظا، مدخل الى مناهج النقد الأدبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1997 ص 140

[2] المرجع نفسه، ص 47.

وأولى "بولي" اهتماما كبيرا بعنصري الزمان والمكان في بناء الوعي السليم للذات من أجل التوصل إلى تحقيق شعور بحياة صحيحة[1].

2-رولان بارت Roland Barthes(1915-1980):

يقول "رولان بارت" متحدثا عن وضعية النقد الفرنسي في منتصف هذا القرن:" عندنا في فرنسا" حالياً نمطان متوازيان: نقد سنسميه جامعيا من أجل التبسيط وهو يُطبّق أساسا منهجاً وضعياً موروثا عن "لانسون" ونقدٌ تأويلي يختلف ممثلوه اختلافا شديداً عن بعضهم البعض، مادام الأمر يتعلق بنقاد مثل: جان بول ستارتر، وyاستون باشلار، ولوسيان غولدمان، وجورج بولي، وجان ستاروبنكسي وجان بول وبيرو رونيه جرار وجان بيار ريشار، وهم يشتركون في أنّ مقارباتهم للنتاج الأدبي يمكن أن تتصل قليلا أو كثيرا، ولكن بطريقة واعية في الغالب، بإحدى الإيديولوجيا الكبرى المعاصرة: الوجودوية، الماركسية، التحليل النفسي، الظاهراتية. وهذا ما جعلنا قادرين على تسمية هذا النقد بأنه إيديولوجي"[2].

-النقد الموضوعاتي عند العرب:

لم يظهر النقد الموضوعاتي في العالم العربي إلا في سنوات السبعين من القرن العشرين مع تنامي النقد المضموني الانطباعي واكتساح النقد الأيديولوجي الواقعي والماركسي للساحة النقدية العربية. وقد استفاد هذا المنهج أيضا من تباشير المنهج البنيوي مع امتداد سنوات الثمانين.

ويلاحظ على أغلب الدراسات الموضوعاتية العربية أنها بمثابة دراسات مضمونيه فكرية تتسم بالسطحية تارة وبالعمق التحليلي تارة أخرى. وهناك أنواع من المقاربات الموضوعاتية في النقد الأدبي العربي: نقد موضوعاتي ذاتي انطباعي ونقد موضوعاتي موضوعي،

[1] ينظر: فاطمة هرمة، النقد الموضوعاتي الماهية والتشكيل، جامعة غرداية الجزائر، المجلد 15، العدد1، جانفي 2020، ص 323

[2] حميد لحيداني، سحر الموضوع عند النقد الموضوعاتية في الرواية والشعر، مطابع الرباط نت، المغرب، ط2، 2014، ص27.

وموضوعاتية مضمونيه وموضوعاتية شكلية. كما أن ثمة موضوعية تأويلية مرجعية وموضوعية بنيوية وصفية. ومن أهم نقاد المقاربة الموضوعاتية:

"**جميل حمداوي**": فقد جعل مهام النقد الموضوعاتي في: استقراء التيمات الأساسية الواعية واللاواعي للنصوص الإبداعية المميزة وتحديد محاورها الدلالية المتكررة والمتواترة واستخلاص بنياتها العنوانية المدارية تفكيكا وتشريحا وتحليلا عبر عملية التجمع المعجمي والإحصاء الدّلالي لكل القيم والسّمات المعنوية المهيمنة.[1]

كريم حسن: ناقد وباحث سوريّ يعد من أبرز النّقاد العرب الذين تبنوا الرؤية النقدية الموضوعاتية، وحاولوا أن يبلوروا مشروعا نقديا متكاملا في دراسة الأدب، وقد اقتحم مجال المقاربة الموضوعاتي من باب البحوث الأكاديمية، لأنَّ أول عمل له بعنوان (الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السيّاب 1983)، ثم نشر كتابه الثاني (المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق سنة 1990).

أمَّا الناقد **المغربي سعيد علوش** "فيرى أنّ الموضوعاتية، وتبحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي ومقارنة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها وندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة" فهو يركز في تعريفه على الأفكار الرئيسية التي ينبني عليها النص الأدبي.[2]

من خلال الدراسات الموضوعاتية والسابقة التي تناولها النقاد العرب يتبيّن انّها بمثابة دراسات مضمونية فكرية تتسم بالسّطحية تارة وبالعمق التحليلي تارة أخرى، وتظهر أنواع من المقاربات الموضوعاتية، وفي النقد العرب منها: نقد موضوعاتي ذاتي انطباعي ونقد موضوعاتي موضوعي، وموضوعاتية مضمونيه، وموضوعاتية شكلية، كما أنّ ثمّة وموضوعاتية تأويلية مرجعية

[1] د، جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة مطابع الرباط نت، ط1، المغرب،2015، ص288.

[2] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطابعة للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1989، ص13، 14.

ثالثا–مفاهيم النقد الموضوعاتي:

يتم النقد الموضوعاتي بعدة مفاهيم حدّدها الكثير من النقّاد العرب ومن بينهم "عبد الكريم حسن" الذي حدّد مفاهيم الموضوع ونذكر منها: الموضوع، المعنى، الحسّية، العلاقة، التجانس، الدّال والمدلول، شكّل المضمون البنية، العمق، المشروع، المحالة.

1– الموضوع:

يشكّل بؤرة تلتف حولها مجموعة من المفاهيم الإجرائية الأخرى فالموضوع" وحدة من وحدات المعنى وهو وحدة حسّية علائقية أو زمنية مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما، كما أنّها مشهود لها بأنّها تسمح انطلاقا منها، وينوّع من التوسع الشبكي أو الخيطي والمنطقي أو الجدلي ببسط العالم الخاص لهذا الكتاب"[1].

الملاحظ في الكثير من الكتابات العربية تكرار الموضوع الرئيسي وحمله العديد من الدلالات الخفية وراء مواضيعهم.

2– المعنى:

النقد الموضوعي يعتبر العمل الفني كائننا مستقلا بذاته، وبالتالي هو يركّز على داخل النص وليس خارجه، وبذلك لا يمكن فهم المعاني الحقيقية إذ حمل الناقد العمل معان لا يكشف عنها الشكل، فكثيراً ما يبتعد النّاقد عن الموضوعية ويحاول فرض إيديولوجية بتحميل معان لا يكشف عنها الشكل، فكثير ما يبتعد النّاقد عن الموضوعية ويحاول فرض أيديولوجيته بتحميل معان تخدم ميوله وتقويل النص مالم يقله. [2]

3– الحسّية:

الحسية مفهوم بالغ في النّقد الريشاردي "إذا أردنا أن ندرك هذا الوعي الحسّي اتجاه الإبداع كان في وسعنا أن نتمثله عبر صورة الطفل الوليد، ففي المرحلة الجنينية لا تعرف الأم شيئا عن جنينها. إنها شبيهة بالشّاعر الذي تختمر العملية الإبداعية في شعوره

[1] رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط، الكويت، 1998، ص117.
2 يُنظر المرجع نفسه، ص46.

وإحساسه، حتى تُعبّر عن نفسها في كلمات مسطورة، والخالق هنا لا يعرف ما الذي يجري داخله من تفاعلات"[1].

4- الخيال:

يتمثل مفهوم الخيال فيما ينتجه من علاقات بين الموضوعات الإبداعية، وقد عرّف ريشار مفهوم الخيال بقوله: "هو نمو العلاقة في الخيال وبذلك يكون الخيال على ارتباط بالموضوع، فلكي نفهم موضوعا يعني أن تُنشر قيمه المتعدّدة، وهو على ارتباط بالحسّ لأن الحضور يستمدّ الحلم مادته الأولية من أجل بناء متحف الخيال، ومفهوم الحضور ينتمي إلى علم الحس، وبالتالي يكون الخيال على علاقة بالحس".[2]

5- العلاقة:

تُعتبر ظهورات الموضوع مفضيه للمعنى التي تربط بعضها بعلاقة عديدة منها الجدلية والمنطقية والخيطية والشبكية ويتحدّد في التمفصل والالتقاء.

6- البنية:

تعني القراءة الموضوعية التساؤل عن البُنى الخاصة التي تمثل الحضور الشعري للأشياء، ومن ثمّة يُصبح البحث الموضوعي بحثا عن البنية التي تميّز العمل الإبداعي والسّمة الأهم لمفهوم البنية في المنهج الموضوعي أنّها بنية شبكية أو إشعاعية.

7- العمق:

وهو المعاني الحقيقة غير الظاهرة، التي لا تتجلى في الكلام، وإنّما يجب التوغل داخل النّص للقبض عليها، والنص الغامض يكون مجالا خصبا للكشف عن المعاني العميقة.

---

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، ص 164

[2] ينظر: عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربة الهيرمينيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، ط1الجزائر،2007، ص 15.

إجراءات المنهج الموضوعاتي:

1- الإحصاء:

يهدف الإحصاء إلى تقديم دور حيوي في الدراسة النقدية العلمية للمنجزات الأدبية إذ يساهم في تفعيله تحديد مسارات التيمات دلاليا وفنيا. وهي القضيّة المنهجية التي عوّل عليها النّاقد (عبد الكريم حسن) في دراسته للأشعار السّيابية، إذ خصّص له صفحات بحثية عدة هذا ما يؤشر على قيمة هذه الميكانيزما التحليلية في النقد التيماتيكي؛ إذ نجده قائلا في شأنه: " فكرة الإحصاء حدس شخصي جاءنا من أن المجموعة اللغوية التي تتردد مفرداتها بكثرة لابد وأي يكون لموضوعها أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الأخرى. والعكس صحيح؛ إذ أن اهتمام الشاعري بموضوع ما، لابد وأن يدفعه إلى الدوران في حومة المفردات التي تعبّر عنه.[1]

2- العائلة اللغوية

أظهر النقاد أنّ البحث اللغوي محورا أساسيا في المقاربة النقدية الموضوعاتية. والتي تؤول مرجعتها إلى جون بير ريشار. وقد أبان "عبد الكريم حسن" أن (العائلة اللغوية) تستند إلى ثلاث مبادئ:" الأول وهو الاشتقاق، والثاني وهو الترادف، والثالث هو القرابة المعنوية، فالعائلة اللغوية تجمع في داخلها المفردات ذات الجذر اللغوي الواحد والمترادفات، والمفردات التي ترتبط مع بعضها بصلة معنوية.

إن العائلة اللغوية والتي يتفاوت عدد عناصرها من مرحلة إلى أخرى هي الوجه الدال للموضوع، وأما عناصر العائلة واللغوية فهي تلك الأستار المتعددة والتي يختبئ تحتها التطابق الخفي وهو الموضوع"[2].

[1] ينظر: عبد الكريم حسن، البنيوية الموضوعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983 ص 76

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 37.

3-التأويل:

أشار الباحثون الغربيون إلى التأويل بأوجه مختلفة فمنهم من رأى أنه " التفسير ومنهم من اعتبره الشّرح، وآخر ربطه بالفهم، وهناك من ضمّه إلى الترجمة إلى غير ذلك من المصطلحات التي وردت عنهم على اختلافها في السياق اللغوي إلا أن المقاصد متقاربة ومنضوية".[1]

والتأويل كما يراه " جمال حميداني": "أنّه أساسي لمن له تصور خاص عن وظيفة الأدب، مبدعين كانوا أو متلقين. والناقد لابد أن يستند إلى علوم مساعدة يمكن اعتبارها أيضا قوانين أساسية تمكنه من افضاء معنى ما على النصوص المدروسة".[2]

ومما سبق يتضح أن التأويل يلعب دورا فعالا في النقد الموضوعاتي. فمن خلاله يتم انتاج الدلالات والمعاني المستمدة من القراءة الموضوعاتية.

-روافد النقد الموضوعاتي:

تعددت مصادر المقاربة الموضوعاتية وروافدها ومرجعياتها. حيث تهيمن الذات وتتمركز في صلب هذه المرجعيات المختلفة التي رفدتها وأمدتها بالأدوات النقدية والإجرائية منها:

1- الرافد الفينومينولوجي (الظاهرات):

نشأ المنهج الموضوعاتي في أحضان الفلسفة الظاهراتية "la phénoménologie" التي تأسست على يد إدموند هوسرل(1859 -1938) الذي يرى أن: " الموضوع المختص بالبحث الفلسفي هو محتويات ومضامين الشعور وليس موضوعات العالم الخارجي ... وتدعى الظاهراتية أنها تبين لنا الطبيعة الباطنية لكل من الشعور الإنساني والظواهري"[3]

وعليه فإن الفلسفة الظاهراتية تهتم بالجانب الشعوري أي بالوعي.

---

[1] عمارة ناصر، مقاربة في الهرمينيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص22

[2] د. حميد لحمداني، سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة آنفو فاس،، ط2، المغرب، 2014، ص22

[3] رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: سعيد الغانمي، دار الفارس، ط1 لبنان، 1996، ص 162

2-الرافد البنيوي:

تعد البنيوية منطلقا مركزيا في التحليل الموضوعاتي، حيث أمدت بأدواتها الإجرائية والمفاهيمية. ويظهر ذلك جليا من خلال استعارة مفاهيم البنية. والشكل والنص والمعجم والتراكيب...

وفي هذا الصدد يؤكد جون بيار ريشار على مدى الإفادة الكبيرة للنقد الموضوعاتي من البنيوية. إلى درجة أنه يعدّه تجولا في النص الأدبي.[1]

لقد تجلى تأثير البنيوي في حقل المقاربة الموضوعاتية صورة واضحة وجلية مع الموضوعاتية البنيوية لدى كل من جون بيار ريشار وعبد الكريم حسن في مختلف دراساتهم النقدية والتطبيقية.

3- الرافد النفسي (السيكولوجي):

يشكل التحليل النفسي ركيزة أساسية ينطلق منها النقد الموضوعاتي ويقيم عليها معظم تحليلات وتحدياته للموضوعات والتيمات المتغلغلة ضمت البنيات النفسية والأدبية ومن هذا المنطلق فقد يمكن للتحليل النفسي الناقد الموضوعاتي من التعمق داخل البنية النفسية للعمل الأدبي بهدف القبض على تيماته المتواترة والامساك بموضوعاته المتكررة والمهيمنة ويمكن فيما يلي أن نرصد بعض النقاط التي تدل على إفادة النقد الموضوعاتي من التحليل النفسي:[2]

-انطلاق النقد الموضوعاتي من ذاتيّة الكاتب ونفسيته والتي يتمحور تركيزها وترددها حول خدمة موضوع وتيمة معينة. وقد تجلى هذا التوجه بشكل واضح في الطروحات المبكرة التي تناولها الناقد النفساني " شارل مورون" خاصة في أطروحته (من الإشعارات الملحة إلى الأسطورة الشخصية: مدخل إلى النقد النفساني) لقد تبين أن بعض المفاهيم المستمدة من التحليل النفسي قد وجدت طريقها إلى حقل النقد الموضوعاتي، يبرز من بينها " الأنا العميق"

[1] جمال لحميداني، سحر الموضوع عند النقد الموضوعاتي، ص 32

[2] حميد لحميداني، سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، ص 32.

الذي يعد من المرتكزات الأساسية في الموضوعاتية، كما تجدر الإشارة إلى أن أعمال " غاستون باشلار" قد لاقت اهتماما في هذا السياق. بأنها تقوم على تحليل نفسي علمي

–يتضح الترابط المعرفي العميق بين النقد الموضوعاتي والتحليل النفسي من خلال القناعة الراسخة لدى أبرز رواد النقد الموضوعاتي الذين ينظرون إلى الموضوع من زاوية سيكولوجية، وهو ما أشار إليه ج–ب ويبر إذ يرى أن الموضوع يتأصّل في الذكريات الأولى للطفولة فهو ذو بنية معقّدة غالباً، كثيراً ما تقتضي إطارا موضوعاتيا يمتدّ الحدث الأصلي ضمنه.[1]

كما نجد "جون ستار وينسكي" أحد أعمدة النقد الموضوعاتي، كان طبيبا نفسانيا مما دعاه إلى المراهنة على حضور التحليل النفسي في ممارساته النقدية الموضوعاتية، وقد بدى لك جليا في كتابه (العلاقة النقدية الذي يتضمن فصلا تحت عنوان "التحليل النفسي والأدبي").

4– الرافد الرومانسي:

لقد أسهم اعتماد الرومانسية على مبدأ الذات، أو ما يعرف بالذات الحساسة في توجيه العديد من المهتمين بالنقد الموضوعاتي نحو تبني هذا المبدأ في مقارباتهم النقدية، ذلك لانَّ الرومانسية نظرت إلى العمل الفني بحد ذاته على أنَّه ثمرة إبداعية أصيلة بفعل الوعي الوجداني الشّخصي.[2]

نستنتج ممّا سبق أنّ النقد الموضوعاتي ومهما تعدّدت مفاهيمه هو على أغلب الاستعمال منهج نقدي عرف واشتهر في النّقد الفرنسي بمصطلح Thématique، أمّا في النقد العربي ورغم تعدد الترجمات لهذا المصطلح إلّا أنّ اغلب الاستعمال هو الموضوعاتية Thématique، التي نصفها على أنّها منهج نقدي يعنى بدراسة الموضوعات thèmesعلى اختلاف أنواعها لأنّ الموضوع ليس واحدا وموحدا، بل يختلف من نص أدبي إلى آخر،

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور الجزائر، ط2، 2009، ص 147.

[2] محمد أسامة العيد، المؤلف والنص: النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 403.

ولكن يبقى هو المادّة الأساسية والمجال الذي تبحث فيه الموضوعاتية أي أنّ الموضوع هو موضوع الموضوعاتية.

كما نستخلص أنّ تنوع وتعدّد روافد هذا المنهج الفكرية والفلسفية من الظاهراتية والوجودية والتحليل النفسي والبنيوية جعلته يعيش في اتجاهات مختلفة وإشكاليات متعدّدة وهذا ما جعله عرضة للانتقاد.

ورغم ما يقدّمه المنهج الموضوعاتي من أدوات تحليلية يبقى شأنه شأن باقي المناهج النقدية وإذا كان هذا المنهج قد أفسح المجال أمام السيميائيات، وأسهم بشكل أو بآخر في تمهيد بعض من أرضياتها المفاهيمية، فمن الإنصاف أن تعترف هذه الأخيرة به كأحد روافدها تماما كما اعترفت باللّسانيات، فلا يعثر في الدراسات حول السيميائيات إشارة إلى الموضوعاتية كمصدر من مصادر المنهج السيميائي، أمّا على مستوى التطبيق فإن حضور المنهج السيميائي يبقى قليلا ومحدودا مقارنة بالنصوص الشعرية.

رابعا–سيرة أبي القاسم الشابي

يُعدّ أبو القاسم الشابي من أبرز أعلام الشعر العربي الحديث، وقد ارتبط اسمه بالرومانسية والتجديد في الشعر التونسي والعربي عمومًا. وُلد سنة 1909 وتوفي شابًا سنة 1934، بعد تجربة حياتية قصيرة لكنها زاخرة بالألم والتأمل والتمرد. ترك ديوانه أغاني الحياة شاهدًا على روح قلقة تبحث عن المعنى، وتعانق الحياة رغم إدراكها الحتمي للموت. وقد شكّلت تجربة الشابي الشخصية، ومعاناته مع المرض، خلفيةً خصبةً لظهور تيمة الموت في شعره، لا كتعبير عن الانكسار، بل كموقف وجودي يعبّر عن الصراع بين الحياة والفناء، والأمل واليأس، وهو ما يجعل من ديوانه مرآةً عاكسةً لفلسفته الشعرية والإنسانية

1 مولده ونشأته:

أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي إبراهيم الشابي، ولد بالشابية إحدى ضواحي مدينة توزر من تونس يوم 26 فيفري 1909 م، الذي يوافق 03 صفر 1327 هـ[1]. ينحدر

[1]أبو القاسم محمد كرو: الشابي في مرآة معاصريه، درا المغرب العربي، ط1، تونس، 1994م، ص 17.

من أسرة ميسورة تمحضّت للعلم إذ كان أبوه عالما فاضلا وقاضيا من خريجي جامعة الأزهر ومجازيه، على قدر كبير من الأخلاق العالية والصفات العلمية والدينية الشريفة، بوأته مكانة مرموقة في مجتمعه[1].

فقد أقام المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي والد الشاعر سبع سنين بمصر، ثمّ درس بجامع الزيتونة سنتين إلى أن عُيّن قاضياً شرعيا، وبحكم هذه الوظيفة عرف الشيخ سلسلةً من التنقلات في مناطق البلاد[2]، كان أبو القاسم يتّبع فيها أباه فأتاحت هذه الفرصة للطفل لأن يملأ عينه من ذلك التنوع الماثل في طبيعة تلك الأماكن، وطبائع أهلها وأشكال حياتهم المختلفة واستغرقت هذه الفترة من حياة شاعرنا ما يقارب عشرين عاما، حيث توفي والده سنة 1929م[3].

بدأ أبو القاسم مرحلته مع العلم والمعرفة منذ طفولته، حيث تلقى علومه الأولى على يد والده الذي أرسله بعدها إلى الكُتّاب في مدينة قابس، فحفظ القرآن ابن تسع سنين، ولما بلغ سن الثاني عشر ألحقه والده بجامع الزيتونة لإكمال دراسته عام 1920م[4]، وكانت هذه فرصته في تلقي العلوم وخاصة الدينية، فبقي فيها سبعة أعوام وحصل خلالها على شهادة التطويع مثل والده[5]، ولكنّه لم يكتف بذلك إذ أقبل على تكوين نفسه بنفسه فانكب على المطالعة بنهم شديد، فاطلع على التراث العربي في أزهى عصوره وعلى روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، وعلى الآداب المترجمة حتى استوعب ما تنشره المطابع العربية بالرغم من أنّه كان "لا يطير في سماء الأدب إلاّ بجناح واحدٍ" لأنّه لم يكن يحذق لغةً أجنبية[6].

---

[1] عزيز العكايشي، إشراف: سعد الدين الجيزاوي: مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشّابي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 1980، ص11.

[2] هند الشويخ بن صالح، إبراهيم بن صالح: الشعر الوطني (أحمد شوقي – أبو القاسم الشابي) ، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2019م، ص 94.

[3] أبو القاسم الشابي، ديوانه، (د–ط)، دار العودة بيروت–لبنان–1997م، ص 8.

[4] أحمد حسن بسج: ديوان أبو القاسم الشابي، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م، ص 5.

[5] هند الشويخ بن صالح، إبراهيم بن صالح، المرجع السابق، ص65.

[6] أحمد حسن بسج، المرجع السابق، ص 6.

أماً بالنسبة لتعليمه في جامع الزيتونة فقد أنهاه في شهر حزيران بعد حصوله على شهادة التطويع كوالده عام 1927 م، وفي العام الذي يليه انتسب أبو القاسم الشابي إلى المدرسة التونسية للحقوق، وتخرج منها عام 1930م.[1]

2-مرضه ووفاته:

كان الشابي مصابا بمرض القلب منذ ولادته، فكان يشكو انتفاخاً وتفتحا في قلبه وتطور مرضه لعدة عوامل منها: عامل الزمن وضعف بنيته الجسدية والأوضاع السيئة التي تعرض لها الطلاب في مدارس السكنى بجامع الزيتونة، فنصحه الأطباء بعدم الزواج لكنّه تزوج من ابنة عمّه عام 1930م، وأنجبت له ولدين، وبعدها بدأت نوباته القلبية تزداد، ونصحه الأطباء بالابتعاد عن كل إرهاق جسدي أو عقلي، ولكنّه لم يستطع الامتناع عن الكتابة والتفكير المجهد، ولقد اشتدّ عليه المرض فدخل على إثر ذلك إلى المستشفى الإيطالي بتونس فتغلب المرض عليه، وكانت وفاته بتاريخ 09 أكتوبر 1934 م عن عمر يناهز 25 عاماً ونُقل جثمانه إلى مسقط رأسه.[2]

3-أهم أعماله ومؤلفاته:

ترك الأديب المبدع أبو القاسم الشابي العديد من المؤلفات والقصائد التي خلّدت ذكراه إلى الآن، فقد تسنّى له بجهده العلمي، وذكائه إرادته على التّحصيل من نعومة أظفاره: أن يغني المكتبة العربية بمؤلفاته يمكن تلخيصها بما يلي:

- ديوان أغاني الحياة.
- الخيال الشعري عند العرب.
- قصيدة إرادة الحياة.
- مذكرات الشّابي.
- رسائل الشّبي.
- جميل بثينة.
- مسرحية السّكير.
- مراسلاته.
- مقالاته[3].

---

[1]أبو القاسم محمد كروا: أثار الشابي وصداه في الشرق، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1961م، ص 16.

[2]أبو القاسم محمد كروا: أثار الشابي وصداه في الشرق، ص16.

[3]عزيز العكايشي، مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشّابي، ص 17، 18.

الفَصْلُ الأَوَّل

إحصاء التيمات الغالبة في ديوان أغاني الحياة

المبحث الأول: قصائد العقد الثاني من القرن العشرين (قبل اشتداد مرض الشاعر)

المبحث الثاني: قصائد العقد الثالث من القرن العشرين (بعد اشتداد مرضه)

المبحث الثالث: التيمة الرئيسية (تيمة الموت)

المبحث الأول: قصائد العقد الثاني من القرن العشرين (قبل اشتداد مرض الشاعر).

هيمت تيمة الموت في ديوان "أغاني الحياة" بوضوح جلي من خلال حضوره حضورا كثيفا بمرادفاته واشتقاقاته وقراباته اللغوية المباشرة وغير المباشرة التي تنسجم مع حالة الشابي النفسية وما يعانيه من انفعالات واضطرابات تضيق كيانه وجوارحه، فيتغلغل إحساسه بالمعاناة ويتراءى الموت جاثوما مخيفا يهدد حياته، فالملاحظ أن أغلب قصائد الديوان تحوي هذا الموضوع، وهذا ما سنبينه الاحصاء الموالي:

01-قصيدة: تونس الجميلة

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
حب الوطن	الهوى		الهوى-أنصاع – صوب -أريقت دمائي-العشّاق الولاء-مجد – وشاحه.

تحمل القصيدة في طيّاتها آمال الشّاعر وأحلامه، فيعبّر عمّا يختلج بداخله بصدق وإخلاص، فهي تحمل روحا وطنية وحبّا عميقا لتونس الجميلة فالشّابي متيّم بوطنه ولا يرضى مفارقته مهما كلّفه الثّمن ومصرّ على التّضحية لأجلها لأنّه متفائل بالنّصر القريب والخلاص من المستعمر.

02-قصيدة: في نظرة الحياة

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الأمل والتفاؤل	السّكينة-السلام	آمال	الرّؤى – الرّوح – شعلة نور – لا تنطفئ- الفجر – حياة – الجد -الهناء.

من العنوان تتّضح التيمة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة، حيث دعا "الشّابي" النّاس أن يعيشوا هذه الحياة بما تحمله من معاناة وآلام، ورغم مرضه وحزنه يريد أن يخلق في

القارئ روح الإرادة والعزيمة التي لا تقهر، وطبيعة الحياة وتقلباتها بين الألم والأمل والحزن والفرح تفرض علينا السعي والعمل.

03- قصيدة الى عذارى أفروديت .. الجمال المنشود

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الجمال الحب أو الروح	بهاء الوجود- حسنها-الهواء السحر-نشوى فتنة-الغرام الروح	جميلة	الحب – الأحلام- صباح الورود -تبتسم- تشدو بساحر التغريب -مولد الربيع الجديد – قلوب مضيئة – ربيع الشباب.

تعبر القصيدة عن تأملات الشاعر في جمال الروح المتصل بالمرأة وعالمها بحيث عبر عن جمال جسدها وتأثيره في النفس.

04- قصيدة يا ابن أمي

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحرية	طليقا	حرا -منطلق	كنوز الضحى في سماه- تشدو – تمرح – تمشي كما شئت- الفتك في الكون – صوت الحياة – سر في سبيل الحياة- النور عذب جميل.

يتغنى الشاعر بتيمة "الحرية" التي يدعو فيها الانسان إلى التحرر من العبودية وتذكيره بضرورة الدفاع والنضال، لأنها تحمل أبعادا إنسانية، ويحثهم على ضرورة طلبها من أجل بعث روح التحدي والنخوة في نفوسهم ورفض الذل والإباء وعدم الاستسلام.

05-قصيدة: الدموع

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والمعاناة والشكوى	لوعة-التّعاسة بؤس -نحس	أوجاع	اليأس -تأس-سئمت الحياة -يأس -تعس – يأس الموت-الموت-رمس.

وفيها يبحث عن أسباب الألم الذي يجد صورته مجسّدة في عناصر الحياة التي أحاطت به. حيث وصف الشاعر معاناته في الحياة وتأمّله في تقلّباتها بين اليأس والأمل، فملّ منها لمعاكستها له فهو على ماضيه الجميل الذي محته الأحزان والآلام

06-قصيدة: أغنية الأحزان

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والمعاناة	ألما-الأسى-الحزن الاكتئاب-الأوجاع -الهموم.	المكتئب	جرعتي – الظلام-كره الحياة – ملاّ-الجراح – المنون-الأجداث-أنّات-ندب – نواح – تائه – حيران -ظلمة – دموع.

يعبّر الشاعر في قصيدته عن الحزن العنيف القاسي الذي أغرقه في دياجي البؤس والألم فيأمل فيمن سينقضه من هذه المحن التي تصارعه ويدعوه إلى التّرنّم بأغنية للحياة تحمل النور والضياء، لتسحق وتقضي على ظلمة الألم التي اجتثّت قلبه.

07-قصيدة: المساء الحزين

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والكآبة	شجون-لوعة تأسى-بؤسا-الأسى-الحزن-مآسي-القنوط العبوس	الحزين الحزون كئيب	حسرات-المنون – الموت – الدموع – الأنين – صروف – الرهيب – حنين – الغريب-شريدا-وحيدا – بعيدا-عنف الحياة – بنات ظلام-اللحود – الهلوع-الجزوع.

يعبّر عن صورة الحياة من خلال رحلة المساء القادم من عالم الصباح عالم الحياة والفرح إلى عالم الأحزان، وينقل صورة في رحم الاستعارات التي تدور فيها تيمة الموت والحزن، الذي أفضى به الكون للمساء، ولكن الفرح والأمل ينبت رغم الظلام. إنها صورة التفوق والتحدي الذي تميز بها" الشابي" عن شعراء الرومنسية الغربية، فهو بحق شاعر الحياة، شاعر الأمل رغم الأحزان التي تحيط به. فيبقى الأمل بذرة يولد منها الفرح وسط الظلام لذلك يعدّ بحق شاعر الحي

08-قصيدة: بقايا الخريف

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الانكسار والألم	الحطيم-شجو كظيم-أساها شقي-شجي الأسى-همّ	الكسير تؤلمنا	كرهت-صراع-الضعيف – جاشت -دموع – الصروف – موات – كفنها – الخريف -المخيف – ترهبها – يحزنها – مريع – تبكي – بكاء-الغريب – الوحيد نوح-ترثي – تندب – فقدت – عذبته – ماتت – غادرتها-

يرى الشاعر في قصيدته مظاهر البؤس والشقاء، فراح يصب آلامه وأحزانه إلى عناصر الطبيعة ويحاكيها عن عمق المعاناة التي يعيشها وخلّفتها له الظروف القاسية فأصبح يرى أنّ الخريف مظهر للفناء والهوان.

09-قصيدة: في فجاج الآلام

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
المعاناة والصراع مع الألم	شجون-الأسى لوعه-أساها لوعتي.	يشجي	دموع – ولوع – ويح -الرزايا – البلايا – شظايا- روعك-تروعك – شتاء القبور-جار – افتكّ-الردى -القبر -مت-الدمع -حسرات – شكاتي-منون – الميت – يندبون – ويلي – يبكون – القلب دام – عبرات – الخراب -تشكو – يائس-مات -تائه- ضاع -الكئيبة –

تتمحور القصيدة حول صراع داخلي بين الألم والأمل، إذ الشابي يصور بلغة شعرية معبّرة عن شدّة الحزن والألم واليأس الذي يعيشه. وفي نفس الوقت يريد الخلاص من تلك المشاعر بعدم الاستسلام والبحث عن الأمل.

10- قصيدة جدول الحب بين الأمس واليوم

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحب (السعادة)	الغزل الهوى الصبابة الغرام	المحبة-الحب	-أغاريد الحياة الطاهرة -ألحان الصبابة العذبة -أناشيد الخلود الساحرة.
الحزن (الموت)	الواجمة-تعيس الشجون الألم الاكتئاب-الأسى	الأحزان-الحزين	الغيوم-أواه-المنون-مقهورا-الأفول-ذاويا-نضو الكلوم-الدموع-مرارة القلب-جامدة الملامح-قاتمة الزهور-الذبلي-النياحة-الانتحار.

تتمحور القصيدة حول تيمتين مختلفتين: تيمة (الحب-السعادة)، فصور فيها الشّاعر المفارقة بين الأمس الذي يركّز على الحب المليء بالصفاء والعاطفة الصادقة، والحاضر الذي يعبّر فيه عن الانكسار والشعور بالوحدة والضياع.

ومن عنوان القصيدة تظهر لنا المفارقة بين الماضي الذي عبّر عنه الشاعر بالمشاعر والعواطف الصادقة المفعمة بالحب والصفاء الطاهر والسعادة وبثّ روح الأمل المنشود الذي كان يلبسه بنشوة كبيرة قبل وفاة حبيبته في سن الزهور وبين الحاضر المشؤوم التعيس الذي فرض عليه عيشة العذاب الدائم والحزن والانكسار والشعور بالوحدة واليأس.

11-قصيدة: يا رفيقي

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والألم	هموم-الأسى أنّة-نشيج-أنين الشجور	آلام الآلام.	الغمام-الحِمام-تيهاء-تهيامي-حز في فؤادي غُصة-قوارع الأيم-نواح-فجعت-فطم الموت طفلها-الخطوب-الدموع-قلب دام-وهي بواكي-الدمع-تائه.

يعبّر الشاعر في هذه القصيدة عن معاناته وأحزانه الشخصية في دروب الحياة وخطوبها، ويرسم إحساسا إنسانيا عميقا مثقلا بالهموم وخيبات الأمل، لكن حزنه لم يبق حبيس ذاته، بل امتد ليشمل آلام الآخرين من حوله كاليتامى والأمهات الكالحات اللاتي أنهكتهن الحياة، وهذه القصيدة تبرز قيمة الإبداع الفني وتجعله وسيلة للتخفيف من صعاب الحياة، وهذا ما جعلها صرخة نبيلة وسط صمت الوجع.

12-قصيدة: إلى الموت

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الموت	الردى المنون	الموت الممات	التعيس – الغيوم – سموم الغلات -الدّمع – الحزن إن حاصرتك الخطوب-رداء الأسى – قناع الظلام حسرات الدموع -الجروح.

لقد انتشرت مفردات الموت بشكل واضح وجلي على مساحة كبيرة من القصيدة بحيث تكررت تيمة الموت بلفظها ومعناها بصيغ مختلفة وبمر تيمات عديدة 14 مرة.

وهذا الحضور لتيمة الموت يعبّر عن وعي الشابي الذهني الدائم بالموت. فينقل لنا تجربته الذاتية، وأن الموت مازال يمارس حضوره ووجوده في وعيه وفكره، فيخاطب نفسه

على أن الموت ليس انتهاء للحياة، بل هو انتصار على الخوف، فإنه يجد في الموت ما لم يجده في الوجود الرحيب، أين الراحة والضياء وسيمات القلوب، وهذا إن دلّ فإنه يدل على الحياة التعيسة الكئيبة التي يعيشها الشاعر فأصبح يرى في الموت والفناء راحة، وتحرر الذات من سجنها نحو الأفق الأعلى الذي يحلم به الشاعر ويصبو إليه.

13- قصيدة إلى عازف أعمى

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
المعاناة والاغتراب	تقاسي–المآسي المصاب–الهول آهة	غربة المعنّى	عشت في وحشة _ خواطر كلّها ضرام ظلمة – السقام–تشق تيه الوجود فردا. فرّ من قلبك السلام – بائس – زعزع عقيم – تزعق المنايا–تفر–مروع – الشوك والتراب.

تشكّل تيمة "المعاناة والاغتراب" إحدى التيمات الفرعية في شعر الشابي، حيث يصوّر لنا حياته الموحشة والقاسية التي يسطر عليها الحزن والظلام، فقد أدرك أنه غريب في هذا العالم والوجود، ولقد استهل قصيدته بصورة رمزية للطفولة البريئة التي تعبر عن بداية حياة سعيدة بعيدة عن قسوة الحياة ومآسيها، ثم يصدم بالواقع الأليم الذي تجلت فيه رؤيته السوداوية للحياة التي تعبر عن ألمه الروحي والعذاب العميق المليء بالموت والمعاناة. وفي آخر القصيدة يصل الشاعر إلى أن الحياة قضاء وقدر محتم على الإنسان رغم ما تقدّمه من مآس لمقاومة الوجع الوجودي.

14–قصيدة نشيد الأسى

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والألم	هم–أوجاع الكآبة–الأسى الكروب–وجمت	الأحزان كئيب مبتئس	عاصفة الظلام – الغضوب–اللغوب–تمردها عصيب– تعذبني الحياة – تهدّ– مذيب – سقيت القلوب–النحيب – تشوهك النّدوب–ألمّ بك الشّحوب – الخُطوب–العزاء.

يصور الشاعر في هذه القصيدة إحساسه بالغربة داخل بلده لأنه يعتقد أن الناس لم تفه م شعره الذي يظهر فيه حائرا محبطا تجاه هذا الوضع المأساوي الذي يعانيه، وهذا ما جعله يشعر بالحزن والأسى.

15-قصيدة قلت للشعر

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
مكانة الشعر	شعر-حنين -غنّت-صميم الوجود-خواطري-عواطفي- نشيد -أنشودة الحب-كتاب - قصيدي-أغاريدي-عوالمي قصة حياتي-نغم.		فلذة من فؤادي - قطعة من وجودي - الغمام سلام - ابتسام - شجون - يغنّي -فيك ما في طفولتي-هتاف.

في هذه القصيدة تطغى "تيمة الشعر" وبيان الشاعر لمكانته في حياته باعتباره جزءا لا يتجزأ من وجوده، فهو يراه مرآة تعكس حياته وتصور أحاسيسه وأفراحه وأحزانه ودوره في التخفيف من معاناته رغم قساوة الدهر أيضا.

16- قصيدة صلوات في هيكل الحب.

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحب وجمال المرأة	جمال الحب الشوق -الشدوِ الهوى - فؤادي-شدوَ-نشوة- نشولتي-حسنك		عذبة أنت - الصباح الجديد- ابتسام الوليد- رقة- الصباح الجميل-الفرح المعسول- ملاك الفردوس- رسم جميل- خفق القلب للحياة- رفّ الزهر- غنّت غنّاك اليه الغناء-شبّ الشباب- تراء الجمال- رقة التغريد - رقة الجر- رونق الربيع - الالهام- الطهر-انفخي في مشاعري-أنغام قلب - زهوت

التيمة الغالبة في القصيدة هي "الحب وتقديس الحبيبة" فالشاعر يعبر عن جمال محبوبته ووصفها وصفا عذريا جميلا باعتبارها رمزا للنقاء والصفاء وتفرّدها بالحسن والجمال التي جعلها مصدرا لإلهامه الفني وتخليصه من عالم مليء بالظلام.

17-قصيدة أغاني التائه

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الضياع والألم	وأساه-آه الجراح-الفقيد		كان في قلبي – ما أشقى قلوب الناس-ترى أين الصباح – أين ناي- هل تسلسلني الغداة-هل تعزّيني-ستنساني – تبقيني وحيدا.

يسيّطر على القصيدة شعور الإحباط الذي يملأ قلب الشاعر حزنا وأسى عندما يتذكر أنّ أحلامه أصبحت سرابا وظلاما دامسا. وضياع نقاءه بسبب صدمات الحياة مما جعله يتساءل في حيرة عن مصير حياته والسعادة المرجوّة. ويبقى الشابي متعلقا بخيط رفيع علّ النور يضيء، وإن لم يكن واثقا من ذلك.

18- قصيدة: إلى قلبي التائه

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والألم	باكيات-تندب أنين-التيه الحسرات-أنّاه		سودا كالحات – صفرا ذاويات – أين النغمات – لا يشدو-الشهقات – شاكيات-أين أحلامك – معتّم – كهف مظلم – البائسات – الحادثات أنت قبر -رفات – في وحشته – التيه الموات – تهت في الدنيا أنّاه – مكبوح – الزّفرات.

يعبّر الشاعر في قصيدته بتيمة "الحزن" عن ألمه الداخلي الذي يعتصر قلبه حرقة وأسى، بحيث تكررت صورة الحزن بمعانيها المختلفة وغيّب الشاعر مظاهر الضياء والنور ليبرز قوة الألم والأسى الذي يمزق كيانه.

20-قصيدة: أكثرت يا قلبي فماذا تروم؟

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن	الوجوم-الحزن-الهموم-الداجي الأسى-الكُلوم	واجـــم كليـــم	قلبي الدامي – غشوم –مرّة كالردى-صوت الغرام القديم-قلبي الباكي – الدجى – هدمته –الرّجوم – لا يبكي لنوح الهشيم-أكثرت.

صدرت هذه القصيدة في طبعة الديوان الأول بكلام للشاعر نفسه يقول: "هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطّم في صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد رحمه الله".[1]

21- قصيدة يا موت

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الموت	مرضوض الفؤاد هدمت-فقدت روحا قبري		مزّقت صدري-قصمت بالأرزاء ظهري – رميتني- فجعتني فيمن أحب –رزأتني –فقدت روحا، قلبا، كفا، وجها، نفسا-سودت بالأحزان فكري –أئن منفردا – خذني اليك – نفسي ملت الدنيا – لم يأتي دوري.

جعل الشاعر تيمة الموت والهلاك مصير كل من يحاول أن يواسي نفسه لأنّه سئم الحياة وفي الوقت نفسه يخاف الموت ويمل الخلود، واعتبر الشابي الموت شيئا قاسيا يقضي على طموح الانسان وآماله، لكن في الأخير وجد راحة و"سعادة" في الموت لأنّها غير موجودة في الواقع

[1] أغاني الحياة ص 103.

22- قصيدة: قيود الأحلام

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الضياع والتشتت	الهجر-تحطمت متنس-راغبا		أود أن أحيا بفكرة- الوجود يضيّق عن أحلامي.قطعت أسبابي مع الدنيا- عشت لوحدتي-زاهد متنسكا- الجيل البعيد- من بطش الحياة الدامي-أوهامي- لا أستطيع- شرّة الآلام- أنا مكبل- صحّيت-هجمت بي الدنيا- مدحوه- عدتي- تحطمت نفسي.

تبين القصيدة معاناة وآلام الشاعر الذي يحلم بأن يحيا حياة سعيدة في بهاء وجمال هذا الكون الرحيب بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها. إلا أنه يصطدم بالواقع المرير القاسي المؤلم الذي فرض عليه وكبّله وحمل المسؤولية والالتزام فرض عليه بعد وفاة والده مما اضطره لترك آماله وأحلامه وتحقيقه لحياة سامية يسعى وراء عليائها كل من يسمو بنفسه وفنه فوق مغريات الحياة. ورغم كل ذلك قدم الواقع والواجب المفروض عليه وفي ذلك صورة رائعة للتضحية والإيثار.

المبحث الثاني: قصائد العقد الثالث من القرن العشرين (بعد اشتداد مرضه).

01-قصيدة النّبي المجهول

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الاغتراب والأسى والضياع	الحزن آلامي	يأس يأسي ألاسي أضاع	ليتني كنت حطّابا–ليتني كنت كالسّيول – تهد القبور – نحسي – أذبل –ضجب – تكره النّور – مزّقت – أطوي كل ما يخنق الزّهور – ثورة نفسي – روح غبية – قلبي الباكي – داست قلبي – المتعب الواهي – حطّمته الدواهي – تألمت – أسكت آلامي – ظلمة الليل – كبلتها ظلمات العصور – أصيب – يصرف الحياة – يفنى – ناجي الأموات

تتمثل القصيدة في أزمة الشاعر مع شعبه بسبب عدم استجابتهم لأفكاره وآراءه التي تهدف إلى تحريره المعنوي والمادي. ومحاولة القضاء على الجمود الذي يسوده وأن يكون عبارة عن قوى طبيعية ليهدّم الموت والتخلّف ويزيل الظلمات التي يتخبّط فيها وطنه ولينشر أنوار التقدّم وربيع السعادة. لكن دون استجابة. وأنهى الشاعر قصيدته متحسّرا على الأزمة التي بلغت ذروتها مع شعبه معتبرا أنّ الشّقي من كان في مثل حساسيته ورقة نفسه تجاه شعبه الغارق في بحر الظلام.

02–قصيدة: أحلام شاعر

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الوحدة والعزلة	انفرادي–بعيدا عن أمتي وبلادي	وحدتي	ليتني أعيش سعيدا–أصرف العمر–أرقب الموت. أصغي لحديث الآزال والأيادي–لا أغنّي نفسي بأحزان شعب–الأسى–أحزان–عيشة تقدسها نفسي–بعيدا عن اللغو–عيش الجماد.

يشكو الشّاعر في هذه القصيدة إحساسه بالغربة والعزلة ويتمنّى أن تحقق الحريّة، وأن يعود الماضي في صفّه بعيدا عن كدر الحياة. بحيث أفرغ همومه للطّبيعة التي يعتبرها مصدر إلهامه المحقّق لأحلامه.

ومن هنا نصل إلى أن الشاعر يرغب في عيش الوحدة والهروب من العالم الواقعي إلى عالم مثالي.

03-قصيدة: أراك

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحب والعشق	تحنو-الهوى حنوٍّ-نشوة		تحلو لديّ الحياة-صباح الأمل – تنمو بصدري ورود عذاب-القلب المشتعل-فيض الحياة-الشباب الوديع الثمل-ترفرف القبل-خلقا جديدا-فأعبد فيك جمال السماء-طهر الثلوج-السعيد-ضياء -رقيق-رقيق الأغاني-أنامل لدناً-أناشيد قلبي.

تتمثل تيمة القصيدة في "الحب وتأثيره على المحب" فيرسم لنا أحاسيسه الرقيقة وكيف يرى محبوبته التي أصبحت مصدرا للأمل والضياء وبعث روحا جديدة ملؤها السعادة والجمال والوجود كله.

04-قصيدة: فكرة الفنّان

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
المشاعر	عواطف-العطف – العميق -نشوة	الشعور شعورك	الجمال-الأناشيد-الفن الجميل – متغنيا-افتح فؤادك-الحياة -العالم المنظور.

رسم الشاعر في هذه القصيدة عالما نقيا بعيدا عن المجتمع المادي الذي يحكم الانسان ويدخله في متاهات السعي والكدح بلا حدود، فأخذ يغرف من نبع عواطفه المتدفقة لينقلها الى عالم الحياة الجميل الممتزج بالمشاعر النابضة بالحب والجمال.

05-قصيدة: قلب الأم

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الموت	المنون-الأبد الكبير القبر-الرّدى غيلان-المنيّة اللّحود-النفس الأخير-المقابر-يطويها التراب		أطبقت جفنيك – تطايرت زمر الملائكة حول سريرك-مضت روحك إلى السماء – بكتك القلوب – في المقابر شيّعوك – نسوك من دنياهم – تئنّ-دامية عراة-نسيتك أمواج البحيرة – أنك في الليالي الداجية – نسوك الناس – يدفن – ظلام الموت – آهة الشّاكي – شهقة الباكي – يؤججها نواح نادبة – ظلمة الليل الحزين – أحزان الوجود-شكوى حزنه الدّاجي – أشباح الدّهور -الرّفات – الجماجم.
الحياة	الدنيا-الوجود		اللّحن الجميل -تعبق-فرحا-النشيد – أحلام – عرائس النّور الحبيب – جداول الوادي النظير-زهورها – تشدو – اللّهو الجميل – منظرك الوسيم – صوتك الحلو – الحصب النّضير – السرور – بهيجها – رقّة الفجر – النّجوم الباسمة – تغنّت الدنيا – الصباح.

تظهر تيمة الموت في هذه القصيدة واضحة وجليّة من خلال إظهار الشاعر بكيفية خوض كل فرد منّا تجربة الموت منذ طفولته قبل أن يذوق طعم الحياة وجمالها التي لم يعيشها وبين الحزن الأبدي الذي يتجسد في قلب الأم التي لم تنساه أبدا وتبقى ذكراه حاضرة طيلة حياته مقابل النسيان السريع من قبل العالم، وهذه المفارقة في القصيدة بين تيمتي "الموت والحياة" تبيّن جمال الحياة التي يطمح الإنسان أن يعيشها والموت والفناء القاسي الذي يشكل حسرة وغصّة في قلب أم كل فقيد.

06-حديث المقبرة:

التيمة	تمظهراتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحياة والفناء	أتفنى-يخبو-ينحل-يغبر	أتفنى-الفناء-الفناء	حقل الوجود والعدم الحياة-الوجود-الخلود-ليل-الفناء-

بالنّظر إلى كثرة الإشارات إلى الزّوال والموت والأسئلة الوجودية والبحث عن معنى الحياة فإن التيمة الغالبة في القصيدة هي تيمة الفناء والموت في مقابل البحث عن الكمال أو الخلود، فالقصيدة تدور حول فكرة حتمية النهاية، وتساؤل الإنسان عن جدوى الحياة، ومحاولته فهم سرّ الوجود والبحث عن معنى الكمال في ظلّ المصير المحتوم.

07-قصيدة في ظل وادي الموت:

التيمة	تمظهراتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الموت	الموت-الفناء		للموت-ضريحي-ادفن-الفناء-ادفن أيامي
الضياع والعزلة النّفسية	صرت في الدنيا بعيدا-وتغشى الضباب نفسي-في سكون الدجى ادفن نفسي		حقل الضّياع والعزلة-إلى أين امشي-الظلام-تهوى بصمت

بناءً على تكرار المواضيع المرتبطة بالموت، الفناء، والضياع، يمكن القول إن التيمة الغالبة في القصيدة هي الموت والفناء حيث أنّ الشاعر يعبّر عن مشاعر العجز والتّراجع، بالإضافة إلى الخوف من النهاية التي تلاحق الإنسان بشكل لا مفر منه.

08-قصيدة السّاحرة:

التيمة	تمظهراتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحزن والاكتئاب	الأسى-الاكتئاب-همومه-الوجوم-الشحوب-التشاؤم	حزن-اكتئاب-شجي-تألم.	ترتبط بالحالة النفسية والفكرية للشاعر.
الفرح والسعادة	البهجة-الطرب-اللهو-المرح.	فرح-ابتهج.	البسمة-النعيم-تهلل-انشرح.

التيمة الغالبة في القصيدة هي تيمة الصراع بين الحزن والفرح، حيث يتأرجح الشاعر بين الاكتئاب والتأمل من جهة، والانجذاب للحب والجمال من جهة أخرى. ورغم محاولة الساحرة إغراءه بالحياة، يظل غارقًا في أحزانه، كما يظهر في قوله: "وأغرق الفيلسوف فلسفة الأحزان في بحرها فمن ذا يلومه."

09-قصيدة ألحاني السكرى:

التيمة	تمظهراتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الحب	الحب-الغرام		يرقص الغرام-نغني مع النّسيم-نتلو صور الحب للشباب-سكرنا بحبنا -لهيب الغرام سحر.

"الاكتفاء بالحب كحالة من السعادة المطلقة والتحرّر من قيود الحياة "يؤكد الشاعر أنّ الحب وحده هو مصدر النشوة والسعادة، وهو بديل لكل الملذات المادية كالخمر، ولكل القيود التي يفرضها الزمن والقدر، في عالمه، يعيش العشاق في انسجام مع الطبيعة، بعيدًا عن هموم الحياة والواقع المادي، مكتفين بالمشاعر النقية، هذا التصور يجعل الحب حالة روحية سامية تتحرر من الزمن والمجتمع، وتتحول إلى عالم مستقل يرفض قيود الفناء والتغير.

10-قصيدة: الأشواق التائهة

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الغربة والضياع	وحيد مدلج تائه الشك	ضائع غريب بغربة	أين شروقك- أين رحيقك- وجم الناي-أمسيت- أوراقا بدادا- الدجى – ضبابا من الشذا- هول الدجى- صمت الوجود- انقضى الفجر-معاني بؤسي-وجود مكبل بالقيود – علة يأسي- شقاء سرمديا- مضمحّلة- يغرف الدمع – الحياة المملة- سأل- ليتني لم يعانق الفجر أحلامي.

تشكل الغربة والضياع من أشواق الشاعر التائهة بحيث سيشعر بانفصاله عن الحياة كأنه لا ينتمي إلى هذا العالم وهو موجود فيه، وتدخله هذه العزلة إلى حالة نفسية تعيسة في تيه وتشتت وكأنه يريد الوصول إلى روحه الحالمة التي تتوق الى النور والحرية وتنقضه من هذا الضياع.

11-قصيدة إلى طغاة العالم:

التيمة	**تمظهراتها**		
	الترادف	**الاشتقاق**	**القرابة المعنوية**
الظلم والاستبداد	أيها الظالم-حبيب الظلام عدو الحياة- كفك مخضّبة بالدّماء		الظّالم-عدوّ-المستبد-دماه-شوك-الأسى- الظلام-الّرماد-اللّهيب -الجراح-تشوه سحر الوجود-تبذر شوك الأسى-أنَّى حصدت رؤوس الورى-رويت بالدّم

تتمثل التيمة الغالبة في هذا النص في الاحتجاج ضد الطّغيان والظّلم، حيث يوجّه الشاعر صرخة قويّةً في وجه المستبدّين، كاشفًا بشاعة أفعالهم وآثارها على الشّعوب

الضّعيفة، من خلال صور شعريّة حادّة وتحذيرات ناريّة، يُظهر الشاعر أنّ الطّغاة قد يخدعهم الرّبيع الكاذب، لكن خلف المظاهر يكمن الغضب الشعبي والقوّة الكامنة التي لا بدّ أن تثور إنّ النّبرة التحذيرية التي تهيمن على النص تعبّر عن إيمان الشاعر بحتميّة انتصار الشعوب وزوال الجبابرة،" فمن يبذر الشّوك يجني الجراح": في إشارة إلى عدالة التاريخ وقدر الشعوب في التحرر مهما طال زمن القهر.

12- قصيدة: إلى الله

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الموت	الدّواهي-زفرة أنزلتني الى ظلمة الأرض الوحشة - المنايا سكون الفناء		جراح في فؤادي – يصعدها الهم – مهجة الشقاء – تشجيه – خلفتني وحيدا – لجّة الحزن – جرعتني مرارة آه – كرهتني الحياة – تعذبه -الأسى- السقام – الهم – تذوب محاجري – حفنة ثرب- الغمام – حزن معذب – تأوهت – الوجود الشقي – أسحقني -في التراب – ألم أجد في هذه الدنيا- اليأس – الكآبة – قلبي المتعب.

عواطف شك ورياح امحاق كبيرة تعصف بالشاعر في هذه القصيدة. ومحاولته الغاء الوجود الجميل إلاّ ردّة فعل على ظلم تقترفه بحقه قوى الغيب دونما ذنب أتاه، ثم تساؤلاته حول ابتعاد العناية الالهية عن تعهده ومؤاساته. إن هي ألا نوع من تدينه الذي يعيش مخاض التّأمل في الحياة. وأنّ هذه القصيدة الى آلامها الشخصية تحمل نَدَب الانسان الفنان مصطدما بالمحيط القاسي، غير مقدر للتضحيات في النّطاق الجمالي.

13- **قصيدة" صفحة من كتاب الدموع " "رثاء الفجر"**

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة اللغوية
الفرح والسعادة والحزن	أطربه- يغنيه تنشده- نغم يسعده	أفراح-فرحا تسعده	تهدهده- الكون الجميل – الفجر -خاضت مشاعره – رمزا في النور تراصده – أحلام الحب -تضاحكه – بسمات – نسيم الصبح
	الترنم-النشيد أغنية	سعيد-سعادتي	النور النقي – الفجر -فتان-غني الصباح
	شجاه- آه		تكمده- النكد – ليل الوحشة – الوحدة – تعدبه – خيال الموت – غشاه الليل – أعتم الغيم – الركود – مضى الردي.

يجمع فيهما الشاعر بين الماضي السعيد المشرق الراحل والحاضر القاتم التعيس في صورة الألم والعذاب ومنها يظهر صراع داخلي بين جمال الحياة المليء بالحب والسعادة التي لن تعود، وخيبة الأمل والانكسار والمستقبل المجهول.

14- **قصيدة إرادة الحياة:**

التيمة	**تمظهراتها**		
	الترادف	**الاشتقاق**	**القرابة المعنوية**

إرادة الحياة	الحياة–العمر	تحيا الحياة حي	أراد الحياة–لابد أن يستجيب القدر–لابد لليل أن ينجلي–إذا ما طمحت إلى غاية –إذا طمحت للحياة نفوس –الشباب

التيمة الغالبة في القصيدة هي إرادة الحياة والتغيير الحتمي، حيث يؤكّد الشاعر على أن تحقيق الأحلام مرهون بالإرادة القوّية، وأنّ الكون لا يستجيب إلّا لمن يسعى بجديّة إلى التّغيير، كما يبرز الصّراع بين الحياة والموت، فالوجود متجدّد دائمًا، ومن لا يواكب الحركة والطّموح يندثر مثل الجماد.

15–قصيدة: أبناء الشيطان

التيمة	تمظهرتها		
	الترادف	الاشتقاق	القرابة المعنوية
الظلم والطغيان	الشر–يُغوي جبارا– شرير زعيم	الظلوم	برايا شقية مجنونة– ثورة اليأس – خبيث– سيقطوها. عابوها– أصبح الحسن لعنة– شقي– خيبوه احتقارا.أيقظوا فيه نزعة الشر. يبذر الرعبة في القلوب– كالوا له الشتائم– شعوب ضعيفة تتلضى– آلامها– أسود– فاحصدوا الشوك.

يبحث الشاعر في هذه القصيدة عن القيم الإنسانية النبيلة الموجودة في شخصه والتي لم يجدها في علاقاته بين الناس التي يتوقف نبضها وتنقطع عندما تكون. والفساد والشرور باتباعه لهذه القيم الهدامة مما ولدت يأسا وحزنا وجعلته ينظر للحياة بنظرة سوداوية قائمة لمستقبل هذه الحياة

المبحث الثالث: التيمة الرئيسية (تيمة الموت).

يُعدّ الموت من أبرز التيمات التي شغلت الشعراء والمفكرين عبر العصور، لما يختزنه من رهبة وغموض وما يشوبه من تساؤلات وجوديّة حول الحياة والمصير. وقد احتلّت هذه التيمة مكانة خاصة في شعر "أبي القاسم الشّابي" الشاعر الرومانسي الذي عايش الألم والمعاناة في سنّ مبكّرة، فانعكس على رؤيته للموت التي تميزت بالتّوتر بين الخوف منه والتوافق إلى تجاوزه. فقد شغل مفهوم الموت حيّزا كبيرا من فكر الإنسان محاولة منه ليقحم الطبيعة حوله وأن يدرك فكرة الموت الغامضة.

1- مفهوم الموت

أ-لغة

وردت كلمة "موت" في قاموس "مختار الصّحاح" "م، و، ت": الموت ضد الحياة مات يموتُ ويَمَاتُ أيضا فهو مَيتٌ وميْتٌ مشدداً ومحققا وقوم موْتى وأمْواتُ وميّتُون مشدداً أو مخففاً ويستوي فيه المؤنث والمذكر. قال تعالى: "لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا" ولم يقل ميِّتةً والميتَةُ مالم تلحقه الذكاة والمُواتُ بالضّم والموت والمَواتُ ما لا روح فيه المُوات ولا ينتفع بها أحد والمَوَتَان بفتحتين ضدّ الحيوان يقال أمَاتَه الله وموتهُ أيضا والمتماوتُ من صفة الناسك المرائي[1].

كما جاء في لسان العرب: الذي فيه: أنّ الموت خلقٌ من خلق الله تعالى. غيره: الموت والموتان ضد الحياة والمُواتُ بالضّم. الموت، مات، يموت موتاً. ورجلٌ ميّتٌ؛ وقيل الميْت: الذي مات، والميِّتُ: الذي لم يمت بعد[2].

[1] الإمام محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب اليفا، دار الهدى، ط4، عين مليلة، الجزائر، 1990.ص403-404

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 4294.

ويقول ابن منظور: "الموت يقع على أنواع حسب أنواع الحياة فمنها ما هو بإزاء القوى النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى:" يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" ومنها زوال القوى الحسية كقوله تعالى:" يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا" ومنها زوال القوى العاطلة وهي الجهالة كقوله تعالى:" أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ" وقوله" فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ".[1]

ومنها الحزن والخوف والمكدر للحياة كقوله تعالى: "ويأتيه الموت من كل مكان"

ومن خلال ما تمّ تقديمه من تعريفات لغوية نستنتج أنّ كلمة الموت معان عدّة منها الفناء والسّكون، وتأتي أيضا كمقابل ضدّ الحياة، وهي من خلق الله تعالى إليه الرجعى كما أنه حقيقة واقعية لا مفر منها.

ب-اصطلاحا

فالشريف الجرجاني (1009م_1078م) في التعريفات يقول: "إنّ الموت صيفة وجودية خلقت ضدا للحياة وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيّ بهداه"[2].

ولقد عرّف جميل صليبا(1902م_1976م) الموت في قوله: هو عدم الحياة فما من شأنه أن يكون حبّاً وهو نهاية وضد الحياة والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة[3].

ويقصد بالموت هنا انتهاء الحياة إلى العدم فهو انتهاء من الوجود وما هو موجود لأنه ما من موجود إلاهي حي والحياة هي الوجود والبقاء. ويقابلها عكسها ونقيضها هو الموت والعدم والفناء.

ج-الموت عند الشعراء العرب:

تناول الكثير من الشعراء العرب حتميّة الموت في العديد من نتاجهم وإبداعهم ليصدموا بالواقع المحتوم بنهاية الحياة ومن بين هؤلاء الشعراء نجد الشعراء الجاهليين الذين " اعتبروا

[1]القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 17

[2]علي بن محمد الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط ج، 1985، ص 255.

[3]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج، 2 بيروت.198، ص 440.

الموت مظهرا طبيعيا وهو فناء الجدّ والنفس الذي يرصد الإنسان دوما وهو قريب منه أين ما كان ولا يعلم متى يحين أجله".

ويرى"ابن الفارض"(1181م_ 1235م) أن الموت هو انتقال الإنسان إلى حياة روحية خالصة، وأغزر علما من الحياة التي كان يحياها الإنسان بجسده. وقد تعرج الروح إلى الذّات الإلهية فتتغبط بمشاهدة الله ومعرفته تاركة وراءها الجسد، ويقول في ذلك:

فَالمَوْتُ فِيهِ حَـيَاتِي وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي[1]

ومنه من اعتبره وحشا كاسرا مثل أبو ذؤيب الهذلي الذي يقول:

إِذَ المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ[2]

أما عند الشعراء المحدثين فقد شكّلت تيمة الموت عندهم خطرا كبيرا يطاردونه تارة ويصادقونه تارة اخرى، فيحتالون عليه في كتاباته، وهذا ما دعا إليه الشاعر محمود درويش في قوله:

"هَزَمَتْكَ يَا مَوْتُ الفُتُنُ جُمِعُها، هَزَمْتُكَ يَا مَوْتُ النُّقُوشُ عَلى حِجَارةِ مَعْبَدٍ..."

ويظهر من هنا أنّ الاتفاق واضح على تيمة الموت لدى الشعراء القدامى والمحدثين حيث يرونه هاجسا ووحشا كاسرا لا يستطيعون هدمه، عكس نظرة بدر شاكر السياب الذي يراه "عالم غامض ومختلف ولكنه بلا ملامح"

فَالمَوْتُ عَالَمٌ غَرِيبٌ يُفْتِنُ الصِّغَارَ وَبَابُهُ الخَفِيُّ كَانَ فِيكَ يَا بُوَيْب.[3]

[1] حنان أحمد خليل الجمل، الموت في الفكر الإسلامي أطروحة ماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2003، ص11.

[2] أحمد الزين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1995

[3]. الشرق الأوسط. صحيفة العرب الأولى، نشر يوم 5_ مارس_.2019على الساعة03:40

الفَصْلُ الثّاني

التيمات الفرعية وعلاقتها بتيمة الموت

المبحث الأول: التيمات الفرعية وعلاقتها بتيمة الموت

المبحث الثاني: سيميائية عنوان الديوان "أغاني الحياة"

المبحث الثالث: التركيب والخلاصة

المبحث الأول: التيمات الفرعية وعلاقتها بتيمة الموت

تظهر تيمة الموت في ديوان أبي القاسم كتيمة أساسية عبّر من خلالها الشاعر عن تجربته النفسية والشعورية التي عاشها في حياته، من فقد ومرض وخيبة أمل أفقدته لذّة الحياة لكن رغم هذا الثقل الذي استحوذ على كيانه ووجدانه الذي كان يُشعره دائما بوجود الموت يحوم حوله وخاصة أنّ المرض أصابه في القلب موطن المشاعر والأحاسيس. ومن هنا نجد أنّ الشّابي داخل عالم الأحزان الذي بناه لنفسه ورسم صورة لموته رغم شبابه، فعاش الموت مع كلّ كلمة أجادت بها قريحته فعانى العديد من الصراعات النفسية: الحزن والحب، الألم والأمل، الحياة والموت. لكن الذي طغى على شعره الحزن الذي جعله يرى الموت أمامه وأنه الطّريق المنشود لا وجود لسواه.

تنطلق شبكة العلاقات الموضوعية في هذه المرحلة من تيمة الموت، فالموت هو التيمة الرئيسية وعلى هذا نبدأ دراسة التيمة الرئيسية ثم الفرعية.

1- تيمة الحزن:

تتجلى تيمة الحزن والألم في ديوان الشابي باعتباره جزءا لا يتجزأ من حياته، إذْ يقف وحيدا مواجها مصيره المحتوم متأثرا بظروف حياته القاسية التي أوصلته إلى الحزن الداخلي، وأن الموت لم يكن نهاية تتم في فترة قصيرة ولكنه موت روحي وجودي، وحيث يقول في قصيدته "صوت تائه"

قَضَيْتُ أَدْوارَ الحياةِ مفكراً ... في الكائنات معذّبًا مهمومًا
فَوَجَدْتُ أَعْرَاسَ الوجُودِ مآ تمَا ... وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزّمان جَحيما
وَحَضَرْتُ مَائِدةَ الحياةِ فَلَمْ أجدْ ... إلاَّ شَرَابًا آجِنا، مسمومَا[1]

الحزن يلازم الشّابي فيرسم لنا الصّورة الحزينة القاتمة بسبب حالته النفسية، فيظهر في صورة شخص حزين شقي معذب يائس، معبر عمّا يختلج في نفسه ذاكرا أحيانا حقيقة الألم

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص88.

المرير الذي يعيشه وهكذا يخلد قلبه إلى الأسى، بدلا أن يخلد الأسى إلى قلبه، فيحدثنا عن صورة الحزن التي تملكته فتصبح جزءاً منه لا يقدر التّخلي عنه فتأتي الصّورة شديدة التّعبير عن هذه الحالة:

تلك أوجاع مهجة عذبتهـــا في جحيم الحياة أطياف نحسٍ[1]

ومن هذا يتضح لنا أنّ صورة الحزن عند الشّاعر تجسدت في عناصر الحياة منها:

أ-**الزمن:** يشكّل الزّمن البوابة الأولى للحزن عند "الشّابي" بحيث يراه مسرعًا منقضيًا دون أن يحقق آماله التي ضاعت بين الحزن والانتظار حيث يقول:

يَنقَضي العَيشُ بينَ شوقٍ ويأسٍ والمُنَى بينَ لوعةٍ وتأسٍ[2]

ب -تدهور حالة المجتمع:

هذه سنّة الحياةِ ونفسي لا تود الرحيق في كأسِ رجس
مُلىء الدهر بالخداع فكم قد ضللّ النّاس منْ إمامٍ وقس[3]

ج -ما يتعلق بمشاعر الشاعر ونفسيته:

ويظهر هذا العنصر من خلال نظرة "الشّابي" للحياة لتحقيق القيم الإنسانيّة (الحب، الخير، الجمال) التي يصبو إليها، لكن الواقع عكس ذلك فيخالف آماله فيرجع عنه ليتجرّع كؤوس الأسى والمرارة ويقول في ذلك:

فَسَئِمْتُ الحياةَ، إلاَّ غروراً تتلاشى به أنا شيد الأسى
وسقتني من التّعاسة أكوابا تجرّعتها فيا شدّ تعسي[4]

[1] ديوان أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص52
[2] المرجع نفسه، ص51
[3] المرجع نفسه، ص 51
[4] المرجع نفسه، ص52. 53

وتتّحد العناصر الثّلاثة لتبيّن مدى حزن الشّاعر لما آلت إليه حياته لأنّه كان يطمح لشيءٍ، لكنّه وجد شيئا آخر صدمه وجعله يعاني الويلات.

ويتصعّد شعور "الشّابي" بالحزن والألم وشعوره بالإحباط، إلى درجة أنّه بحث عن أدوات ليجعلها ملجأ له يصبّ فيها همومه وآلامه فلم يجد إلّا الطّبيعة والبكاء فجعلهما تشاركاه آهاته المحرِقة.

الطّبيعة:

نرى أنّ "الشّابي" يطلق حزنه على الطبيعة فتصاب بعدوى هذا الألم. فكانت الملهم الأول والملاذ الوحيد الذي يلجأ إليه، فوجد فيها الرّحمة والحنان لأنّها تعطي دون مقابل، تُفرِح وتحزن، فجعلها تصوّر أحواله ومشاعره وآلامه وهذا ما بدا جليّاً في قصيدة " أغنية الأحزان"

غَنّني أنشودة الفجر الضحوك أيها الصدّاح!
فلقد جرّعني صوت الظّلام ألما علّمني كره الحياة
أنّ قلبي ملّ أصداء النّواحي غنّني يا صاح[1]

فهنا يسكب الشّاعر همومه وحزنه العميق للطائر المغرد الذي يواسيه من خلال صوته العذب، فهما يعيشان نفس الشّعور والأسى والاغتراب الدّاخلي، فنجد رغبته في الخلاص من هذه الهموم التي تنقل حياته وتُعيّشه في عتمة اليأس.

فنجد الشّاعر وظّف رموز الطّبيعة (الفجر الضحوك، الطائر الصداح) التي يرمز بها إلى الأمل والفرح والحياة للخروج من حالة اليأس التي هو فيها، مقابل ذلك يبيّن مدى تأثير الألم في نفسيته لدرجة كرهه للحياة، واستخدم الشّاعر الاستعارة (صوت الظّلام، جرّعنى ألما) التي جسّدت مدى حزنه وشدّة معاناته ووظّف كذلك المجاز المرسل في قوله "ملّ قلبي"

1 أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، ص52.

بحيث ذكر الجزء وهو القلب المسؤول عن المآسي والأحزان ويقصد الجسد كلّه الذي يعيش ما يصدره القلب.

في مقدمة دراستنا لتيمة الموت، وجدنا أنّ الطّابع الأساسي الذي يميّز هذه التيمة هو ارتباطه بالحالة الذّاتية والنّفسية للشّاعر، وعرّجنا على أنّ الموت له ارتباط بالحياة الاجتماعية والسياسية، فوجدنا أن ديوان "الشابي" له صلة تربط الموت بالحالة السّياسية التي سبّبت له الحزن والأسى ومنه سنتناول علاقة الأوضاع السياسية وما سببته من حزن وألم للأبي القاسم الشّابي"

1-1-الحزن والأوضاع السياسية:

يعتبر وطن الشّاعر (تونس) مثله مثل باقي الدّول العربية عانى من الحروب وتواطئ وخذلان الحكام، الذي كان سببا في جمود وركود الشّعب التونسي وخلّفت له معاناة مأساوية فحمل الشّعراء همها وأعباءها، ونال شاعرنا حصّة الأسد منها لأنّه محباً لوطنه حبّاً شديداً، لذلك ضحّى بآماله من أجل بعث روح التّحدي واستنهاض همم شعبه الذي يتألم بصمت تحت وطأة القهر والتّهميش والقمع.

وهذه الأوضاع التي كان يعاني منها شعبه ورغبته في خروج هذا الشّعب المضطهد من كابوسه الذي سلب منه الفرح والأمل والحياة، وحزنه يتأتّى من صميم وروح الشّعب المستسلم الذي حرّم الحريّة وتقبّل الإهانة والاستسلام، وهناك حزن زرعه ظلم واستبداد المستعمر الغاصب الذي أراد أن يقضي على إرادة أمّته حيث يقول:

يا أيها الجبّار! لا تزدري فالحق جبّار طويل الأناة

يغفى وفي أجفانه يقظة ترنو إلى الفجر الذي لا تراه

الشاعر يخاطب المستعمر المستبد الذي يتّصف بالجبروت في رسالة قويّة يحذّره فيها من الغرور والازدراء لأنّ صوت الحق أقوى وفوق كلّ ظالم وسوف يأتي يوم تنظر فيه إلى تونس الجديدة.

لكن سرعان ما تذكّر حالة شعبه وعدم رغبته في التّغيير والانتفاضة ازداد قلبه حسرة وألما، ويؤكّد ذلك:

لست أبكي لعسف الليالي أو لربع غدا العفاء مراحه
كلّما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه
أخمدوا صوته الالهي بالعسف أماتوا صداحه ونواحه[1]

استبدل الشّاعر هنا البكاء على الأطلال الذي تغنّى به شعراء الجاهلية بالبكاء على الوطن في عبارة "لست أبكي" وهذا التّناص يدل على مدى تعلّق وحب الشاعر لوطنه وشدة حزنه على ما فعله به المستعمر. ومما زاد حزن الشّاعر هو رفض دعوته للثورة والإصلاح والتّغيير، ما أداه إلى الكآبة وإحساسه بالغربة داخل وطنه:

كآبتي خالفت نظائرها غربية في عوالم الحزن
كآبتي فكرة مغرّدة مجهولة من مسامع الزّمن[2]

فقد كرّر الشاعر لفظة الكآبة ومشتقاتها في القصيدة (12) مرة (كئيب، يكتئب، كآبة) ليؤكّد أنّ كآبته لسيت مثل الآخرين الدّالة على واقعه الأليم القاسي والحياة الحزينة التي يعيشها. وما ذكر في "أغاني الحياة " أيضا عزيمة الشاعر وحرصه على التّحدي والصمود بأن يصرخ في وجه الشّعب كالإعصار القوي فيها من القسوة ما ينهضهم من سباتهم العميق مناديا بالثورة والتحرّر في قوله:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ اللّيل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر[3]
ومن يتهيّب صعود الجبال يعش أبد الدّهر بين الحفر[4]

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص 11
[2] المرجع نفسه، ص 23
[3] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص 183
[4] المرجع نفسه، ص 183

نرى أنّ الشّاعر يعيش حياته بعزّة وكرامة منذ صغره وأنّ ما رآه خلال تنقّله وترحاله مع والده في كلّ ربوع بلاده أخذ العبرة من الحياة بأن يمتلك الإنسان القوة ولا يرضى بحياة الذل.

ونجد الشاعر ضمّن قصيدته من قصيدة المتنبي التي يقول فيها:

عش عزيزاً أومت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود[1]

وقد وظّف العديد من الصّور الفّنية في هذه القصيدة مثل:(ويقنع بالعيش عيش الحجر) كناية عن السكون والجمود ومن الاستعارة (يستلذّ ركوب الخطر) الذي شبّه فيه الشّاعر الخطر بالدّواب التي يمتطي ظهرها الإنسان، فحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي الرّكوب دلالة على ضرورة السّعي والعمل الدّؤوب الذي يغيّر ظروف الحياة والوطن.

ومن ذلك يتّضح أنّ "الشابي" لا يتوقف الأمر عنده على حزن فراق الحبيبة أو مرض أصابه بل يتعدّاه إلى وطنه وشعبه المضطهد من قبل المستعمر واستسلامه له دون حراك، مما أدّى به إلى الرّضوخ والهوان الذي سبّب له الموت البطيء.

معادلة الأوضاع السياسية عند "أبي القاسم الشابي" من خلال الحركة الديالكتيكية التي يوضّحها الشّكل التالي:

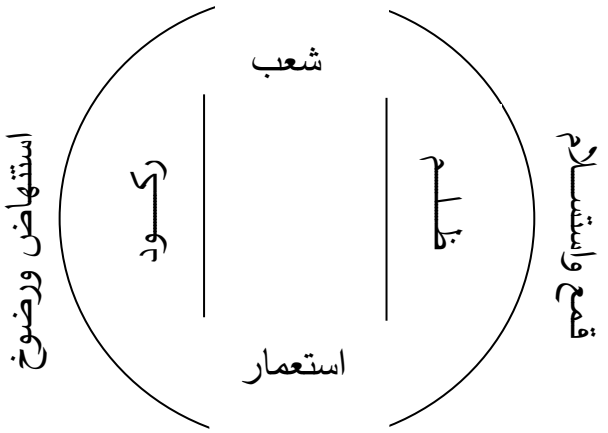

[1] أبو الطّيب المتنبّي، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر، د، ط، بيروت، 1403هـ 1983، ص386.

تبدأ العملية من خلال الظّلم الذي يسلّطه الاستعمار على الشّعب الذي زاده هوانا وسكونا، وهذا يبعث على تخلّف الشّعب وطغيان العدو، وهذا الظّلم يزيد من الاستبداد والجبروت وتتراجع حركة النهوض.

1-2-الحزن والحب:

تعتبر تيمة "الحزن والحب" من التّيمات الأكثر انتشاراً في الديوان، إذ يرتبطا ارتباطا وثيقا بالحالة النّفسية والشّعورية للشّاعر، لأنّ الحب يحمل أبعاداً وخفايا تعكس ألم وحزن الشاعر الذاتي ووجع يجتاح جنبات الرّوح لدرجة أنّه سلب منه الحياة وبهجتها والوجود ولذّته في قوله:

أَيّها الحب أنت سرّ بلائي وهمومي وروعتي وعنائي
ونحولى وأدمعي وعذابي وسُقامي ولوعتي وسقائي[1]

يصل الألم الصّارخ في هذه القصيدة إلى حدّ تمزّق الرّوح إذ نجد أن شبح العاطفة يؤدي صاحبه إلى الإرادة الأزليّة فالحب سرّ بلائه وهمومه، ثمّ يجعله سر وجوده في الحياة:

أيّها الحبُّ أنت سرّ وجودي وحياتي وعزّتي وإبائي[2]

ثم تتجمّع الأضداد في ثنائيات السّلب والإيجاب بالتّقابل على كفتي الصّدر والعجز فيقول:

ليت شعري يا أيّها الحب قل لي من ظلام خلقت أم من ضياء[3]

فتزيد هذه الضّغوطات والمتفرقات على أحاسيس الشّاعر وكيانه الوجودي، فتنفجر نفسه تفجيراً متأزّما، ناتجا عن التّمزق والشعور بالحرمان والأسى فيصوّرها الشّاعر تصويرا انتحاريا يحمل مظاهر الذّات المحطّمة تحت وطأة الألم فأصبح يتلذّذ الشّاعر بالألم، فألفته حتى بلغت به روحا من التّجلّد متلذّذا بتعذيب نفسه.

[1] أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، ص50.
[2] المرجع نفسه، ص50.
[3] المرجع نفسه، ص50.

وأمّا عن ألم الحبيبة فنجده يعكس رؤيته الحقيقيّة للحياة، فقد كان ألما نابعا من وجدانه لأنّه لم يعتبرها جسداً للرّغبة والتّلذذ بل أرادها مؤنسا رفيقا أبديا، لكن القدر حال دون توقعاته فخطفها الموت منه قبل أن يملئ روحه من حبها، فرحلت تاركة ندبة عميقة وغصّة وحسرة فجّرت حزنه:

حسرات تهيّجها الذّكريات ودموع تفضيها الشّهقات
وشجون تثير في القلب ألا ما تغنّى بأصواتها الأنّات[1]

وتنحصر كذلك تيمة الحزن عند "الشّابي" بعلاقته بالحب بين الماضي والحاضر الذي يعبّر فيه عن صراع الزّمن والتّغيرات النّفسية والعاطفية التي رافقت الشاعر حين يتذكّر محبوبته وأيّامه الخالية أين كان يعيش حياة سعيدة وهو بجوارها وانقلبت فأصبحت كالكهوف الصّامتة يجترّ الشاعر ألمها وأساها، فالأمس كان جميلاً واليوم أضحت حياته حزينة سامّة فيقول:

بالأمس قد كانت حياتي كالسّماء الباسمة واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة
إذ أصبح النّبع الجميل يسير في وادي الألم متعثّراً بين الصّخور يغور في تلك الظّلم[2]

الشّاعر عبّر هذه المفارقة التي عاشها بين الماضي والحاضر باستعمال التّشبيه والفعليين الماضيين (كانت، أمست) للإشارة إلى أنّ الشّاعر متحسّر على الماضي السّعيد الذي لن يعود واكتوى بناره وألمه في الحاضر التّعيس. ويمكن أن نثبت هذا التّناقض الذي عاشه الشّاعر في المعادلتين التّاليتين:

حب (ماض) + حياة سعيدة = حضور الحبيب (1)

⇕

حب (حاضر)+ حياة حزينة = موت الحبيب (2)

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص 135.

[2] المرجع نفسه، ص80.

أراد الشّاعر أن تكون الطّبيعة ملاذه الآمن فتمنّى أن يكون طيرا يسمع الأحزان ويشارك من قُصف قلبه بالحزن، فتكرّرت الألفاظ ضمن الحقل الدّلالي للحزن بين النّحيب والاكتئاب) و(الخطوب والشحوب) لتحقق الألفة بينهما ولتصبح عنصراً فاعلاً تؤثر في الشّاعر حيث يقول:

يـا مهجـة الغـاب الجميـل ألــم يصــدعك النحيــب
يــا وجنــة الــورد الأنيــق ألــم تشــوّهك النــدوب[1]

ويتضح لنا من هذه القصيدة العلاقة المتينة بين الشاعر وعناصر الطبيعة (مهجة الغاب، وجنة الورد) من خلال مناداته ومساءلته عن أحوالها حيث أقام معها حواراً ليترافقا في أزمات الحياة وقسوتها.

ولعل هذا التركيب الظاهر يدل على رغبة الشاعر في اللاّوعي بتعويض وحدته من خلال اتصاله بموجودات تحمل في خيالها صفات الإنسان لكي تؤنسه، لكن الشاعر

وترسم لنا قصيدة مأتم الحب الحزن العميق الذي سببه موت الحبيبة في ريعان شبابها، فمزق هذا الحب وجدانه وكيانه وأدمى قلبه حيث يقول:

فـــي الديـــــاجي كـــــم أنـــاجـــي

مات من تهوى وهذا اللّحد قد ضمّ الحبيب[2]

فوجد الشاعر المتنفس الوحيد في هذه الحياة هو "اللّيل" كي يشاركه آلامه وأحزانه التي مزّقت وجدانه وكيانه.

فهذه الآلام التي تعصر قلب الشابي أثّرت على نفسه وحياته فصبّها للطّبيعة الحزينة التي تعاني بصمت مثله، ونرى كذلك أنّ الشبابي وجد أنّ الموت هو الخلاص الوحيد من تعاسة الدّنيا وشقائها.

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص91.
[2] المرجع نفسه، ص21.

1-3-الفقد:

ما زاد من ألم الشابي وحزنه هو "الفقد" الذي سلب منه بهجة الحياة وطعم وجودها فهالت على الشّاعر أنواع الهموم وأصنافها منذ نعومة أظفاره، فتلاحقت عليه مصائب الدّنيا من فقدان والده إلى فراق حبيبته، فأخذت هذه المآسي تحاصره وتملئ نفسه ألاماً لدرجة تمنى الموت والخلاص من هذه الدّنيا.

أ-فقد الوالد:

الفقد ألم موجع يقتحم الحياة كعاصفة هوجاء مخلّفاً آهات تطفح القلب حسرة وحزناً، وفقدان "الأب" أصعب فقد يمكن أن يتجرّعه الإنسان، و"الشابي" من الأبناء الذين لا يفارقون آباءهم فكان متعلّقا به تعلُّقاً شديداً، ينعم في كنفه بالأمن والأمان، وكان سنده ومسنده في هذه الحياة، ولكن القدر حال بينهما فخطف منه مستودع سرّه وأمله الباسم فترك فيه ندبة لا تندثر، فغرق في ظلامه وفتحت أمامه أبواب لم يكن يتخيّل أنّها ستفتح في وجهه يوما، فراح يسكب آلامه في شعره حيث يقول: في قصيدة يا "موت"

يا موت قد مزّقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري
وفجعتني فيمن أحبّ ومن إليه أبثّ سرّي[1]

تكشف القصيدة عن التّحول الذي غيّر مجرى حياة الشاعر من البراءة والطّفولة إلى التّشتت والتمزّق فولّد له صراعا داخليا يعبّر عن رفضه للذّات وخضوعه للموت والاستسلام.

يتجلّى حضور التّناص الشعري في القصيدة لفظاً ومعنى الذي يعكس تأثّر "الشابي" بالحياة التي مرّ بها الشاعر " محمود سامي البارودي" :

يا موت فيم فجعتني بحليلة كانت خلاصة عدّتي وعتادي
لو كنت لم ترحم ضناي لفقدها أفلا رحمت من الأسى أكبادي[2]

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص103.

[2] محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، دار العودة، بيروت، د ط، ج4/1، 1998، ص154.

فيتشارك فيه مع شاعرنا في الفَقد الذي سبَّب لهما حزناً ولوعةً تحرق الأكباد.

وممَّا أثقل كاهل الشَّاعر أيضًا إحساسه بالمسْؤولية التي أُلقيت على عاتقه بعد وفاة والده فصبغت حياته بلون الكآبةِ والأسى واشتاق إلى أيَّام واله فيقول:

ينقْضِي العَيش بينَ شوقٍ ويأسٍ والمُنى بينَ لوعةٍ وتأسّ
هذه سُنَّةُ الحيَاة ونفسي لا تودُّ الرَّحيقَ في كأْسِ رجسِ[1]

نَلمس الأسلوب الأندلسي واتباع الأسلوب الشّعري القديم في هذين البيتين حيث استخدم ألفاظًا منسجمة متكافئة ذات معانٍ قوية توحي بألم الفراق وصراع القلب بين الحزن والاشتياق واليأْس واللّوعة الذي جلب له الموت فاختار "**بحر الخفيف**" الذي يمتاز بإيقاع متأرجح بين الخفَّة والثّقل، الذي يعكس حالة الشاعر النفسية بالثبات والانكسار الداخلي والتأمل في الموت.

ب_ فقد الحبيبة:

يُعبّر "الشَّابي" عن آلامه وأحزانه من خلال تعبيره عن حالته النَّفسية والشُّعورية، فتأوَّه لفقد حبيبته التي تركت أثرا عميقاً في قلبه فتسببت له مأساة عميقة:

لستُ يا أَمسيَ أَبْكيكَ لمجد أو لِجاه
سلبتهُ منّيَ الدّنيا وبَزَّتْني رداه[2]

ونجد أنَّ الشَّاعر أيضا يناجي محبوبته ويطلب منْها النَّجدة والمساعدة كي تنقذه من الأسى متفجعا متوسلا لأنَّها الوحيدة التي تستطيع انقاذه من تفجّعه من جهة، ويخفف على نفسه ألمها من جهة أخرى، لأنَّها الملجأ الوحيد الذي يهرب إليه ورغم عدم وجودها وينفني استطاعته العيش من دونها:

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص51.
[2] المرجع نفسه، ص127.

أنقذيني مـــن الأسى فلقـــد أمسيت لا أستطيع حمل وجودي[1]

وقد طغي اللّون الأسود في قصائد" أغاني الحياة" بنسبة كبيرة تقارب ثلث المجموع الكلّي بـ (32.43%) عن باقي الألوان الأخرى حيث ذُكر اللون الأسود " 12" مرة في ديوانه، وهذا يدل على حالة اليأس والفراق والتَّحطم والذي يعانيه الشّاعر.

فـ"اللَّون الأسود" هنا يصوِّر لنا حزن الشَّاعر وأساه بسبب موت حبيبته لأنَّ غرامه خطف عقله وأصفد فؤاده:

ليت شعري! كم بين أمواجك السّود وطيـــات ليلك المسدول[2]

وفي الأخير يمكن إنشاء مثلث مفاهيمي يبيّن مرحلةَ الفقد التي مرَّ بها الشَّاعر.

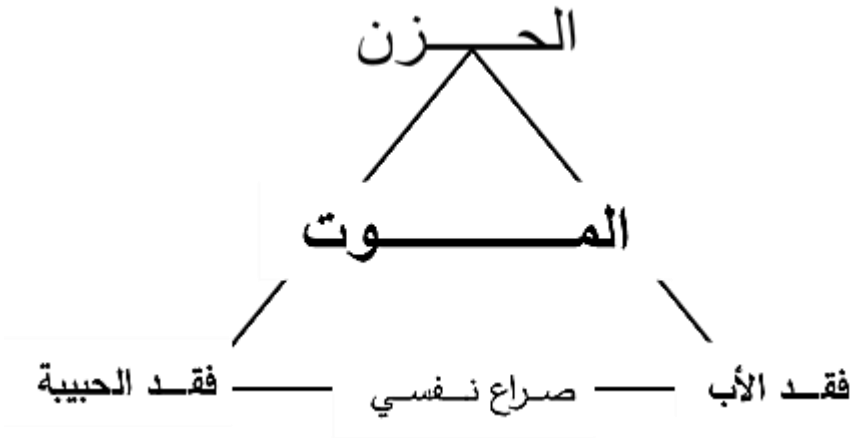

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص178.

2- تيمة المرض:

عاش "الشابي" صراعه مع المرض المبكر وهو في ريعان شبابه حيث أصيب بمرض تضخم القلب، فكان جسده المتألم مرآة لنفسه الحزينة التي انعكست على إبداعه الأدبي، وهذا المرض أودى بحياته وصبغها بالحزن والألم الذي أنهك قواه الجسدية وأصبح الموت عنده احتمالاً دائمًا يلوح في الأفق.

أما الألم وعلاقته بالمرض فانه بكشف صورة الداء الذي نخر في كيانه، ويشعر بوجود الموت يحوم حوله، ومن هنا نجد أن "الشابي" داخل عالم الحزن الذي بناه لنفسه، فعاش الموت مع كل كلمة أجادت بها قريحته في قوله في قصيدة "يا موت "

يا موت قد مزقت صدري قســـمت بـــالأرزاء ظهـــري
ورميتنـــي مـــن حـــالق وســخرت منـــي أي ســخر[1]

وكان للشابي عند تساؤلات وجهها لقليه المريض الذي كان سببا في حزنه فأسند في خطابه "ياء" المتكلم للشعور بالالتفاف والاحتواء، فيُسائله لما أنت واجم؟ ألم يكفيك أنك امتلأت بالهموم! في قوله:

يـا قلبـي الـدامي إلام الوجـوم يكفيـك أن الحـزن فـظ غشـوم
هـذي كؤوسـي مـرة كـالردى يملأهـا إلا عصـير الهمـوم[2]

فكانت لغته لغة مجازية في تعبيره عمّا يختلج في نفسه بعبارات كلها ألماً (ينزف دمّا، يا قلبي الدامي) فهو لا يقصد الجرح الحقيقي بل يقصد قلبه المتألم الجريح.

فالشابي برسم صورة حميمة لمعاناته مع المرض أين يجد راحة في الموت يمتنع فيها عن ترهيب الذات، فيشخّص الموت في أروع صوره كما يراه فيقول:

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص103.
[2] المرجع نفسه، ص102 .

إلى الموت! يا ابن الحياة التعيس ففي الموت صوتُ الحياة الرخيم

إلــى المـوت! إن عـذبتك الـدهور ففي الموت قلبُ الدهور الرحيم[1]

فهنا يعلن انتصار الذات على الخوف من الموت وتحررها من سجنها، وينخر الداء جسد "الشابي" فأصبح كالشوكة التي تفض عليه فمل وضجر من هذه الحياة ونفر من تفاصيلها ومفاتنها، فعبّر عن حزنه العميق بالأسى والخذلان رغم صغر سنّه فقال:

سئمت الحياة وما فيــها وما أن تجاوزت فخــر الشباب

سئمت الليالي وأوجاعها وما شعشعت من رحيق يصاب[2]

هكذا يصل اليأس بالشاعر إلى الحدّ الذي يحس أن حياته لم تعد ملكا له، فللموت على جسمه المريض جاذبية لا تقوى عليها خيوط الوهم والأمل.

فتظهر مفردة "سئمت" مكررة عدة مرات لتُأكد الحالة النفسية وعدم رغبة الشاعر في الحياة، كما خصص لفظة "الليالي" واعتبرها رمزاً للحزن الدفين بأوجاعه وأنَّ لحظات الفرح التي قد تُشعشع هذه الليالي لا يجد فيها نشوة البقاء.

وقد اختار لقصيدته "بحر المتقارب" الذي يتناسب مع مرحلة الحزن الذي يمر به الشاعر والتي تعكس الانفعالات المتتالية الناتجة عند شدة الألم وتفاقهم الأحزان.

فالبنية الإيقاعية للقصيدة فيها حركة قوية وخفقان سريع راجع إلى حالة التمزق التي يعيشها الشاعر، مما استدعى ألفاظا تدل عليها توحي بالضيق والضجر، فعبّر بها عن حزنه ومدى انهاكه العميق التي تعبر عن حالته النفسية المتأثرة بهاجس الموت.

[1] المرجع السابق، ص85.

[2] المرجع السابق، ص48.

3 – تيمة الحب:

الحب موضوع نال قسطه من التعبير والتطريز لدى الشعراء، والحب قوة تؤثّر على الإنسان فتدفعه نحو الأمل أحيانا ونحو الألم أحيانا أخرى، والشابي كغيره من الشّعراء الرومانسيين حيث كان للحب نصيبا كبيرا في ديوانه "**أغاني الحياة**"، إذ تكرّر مصطلح الحب صريحا خمس مرات في عناوين ديوانه: مأتم الحب، الحب، أيّها الحب، جدول الجب، أنا أبكيك للحب، صلوات في هيكل الحب، وهذا ما سنوجز الحديث عنه في الطرح الآتي:

3/1 – الحب والوطن:

شغلت تيمة الحب والوطن مساحات كبيرة على مستوى أشعار أبي القاسم الشابي، ولعل الدافع من وراء ذلك هو نزعته الوطنية، وحبه اللامتناهي لوطنه الأم تونس، والوطن العربي عموما، وفي هذا الصدد يقول:

إن ذا عصـر ظلمـة، غيـر أنّـي مـن وراء الظـلام شـمت صـباحه

ضيع الدّهر مجد شعبي، ولكن سـترد الحيـاة يومـا وشـاحه[1]

يتضح من خلال هذا المقطع الشعري حسَّه الفني، وأمله في إشراقة جديدة، فالاستعمار عصف بالشعب وخيّم الظلام على موطنه، وهذا ما حزّ في قلب الشاعر فالبعد الوطني يتجلى من خلال رصد الحالة التي يعيشها شعبه وأمله في الانتصار، بل نجده أنه متيقّن من ذلك:

لسـت أبكـي لعسـف ليـل طويـل أو لربـع غـدا العفـاء مراحـه

إنمـا عبرتـي لخطـب ثقيـل قَد عَرَانا و لَم نجِد من أزاحَهموقظ شعبة

كلمـا قـام فـي الـبلاد خطيـب يريـد صـلاحه

أخمـدوا صـوته الإلهـي بالعسـف، أمـاتوا صـداحه ونواحـه [2]

[1] الديوان، ص 12

[2] الديوان، ص 11.

فهنا يقر بحقيقة الاستعمار الذي يقتل في المهد أية محاولة لاستنهاض الهمم، وإشعال فتيل الحرب من أجل انتزاع الحرية والكرامة، مؤكدا على أن ما أخذ بالدم والنار ينتزع بالدم والنار، لا بشيء آخر، فالخطيب هو صوت مناهض ورافض للمحتل، يتولى مهمة التوعية من أجل التغيير الجذري. لم يستطع الشاعر التخلي عن مهمته السامية، ودوره العظيم، لذا نجده يصرّح قائلا:

أنـــا يـــا تـــونس الجميلـــة فـــي لـــجّ الهـــوى، قـــد ســـبحت أي ســـباحة
شـــرعتي حبـــك العميـــق، وإنّـــي قـــد تـــذوقت مـــرّه وقراحـــه
لســـت أنصـــاع للّـــواحي ولـــو مـتّ، وقامـت علـى شـبابي المناحـة
لا أبـــالي... وإن أُريقـــت دمـــائي، فـــدماء العشـــاق دومـــا مباحـــة[1]

فالواضح أن حضور تيمة حب الوطن طاغية على هذا المقطع الشعري الذي يحمل من الآلام والتمزقات النفسية ما يجعله مشهدا دراميا، فتونس هي حب الشاعر الأبدي، ومنفاه الاختيار الذي لا يستطيع التخلي عنه مهما كلفه الأمر، فموته يراه لا شيء أمام حرمة تونس وقداستها، فهو العاشق المتيم لوطنه الأم، وفي هذا الصدد قال:

وللشـــــــعوب حيـــــــاة حينـــــا، وحينـــــا فنـــــاء
واليـــــأس مـــــوت، ولكـــــن مـــــوت يثيـــــر الشـــــقاء
والجـــــد للشـــــعب روح تـــــوحي إليـــــه الهنـــــاء[2]

فهو يرى أن الشعوب لا بد لها من المقاومة وبالتالي فهو يكره الضعف والاستسلام للمصير المجهول، كما أنه يؤكد على أن كرامة الإنسان جزء لا يتجزأ من حياته وحريته أيضا، فمن جد وكافح يعيش بكرامته أو يموت بشرف، فالثورة حياة وانبعاث للشعب من قلب الموت نفسه، في هذا السّياق قال:

[1] الديوان، ص 12.
[2] الديوان، ص 16.

ما المجد إلاّ ابتسامات يفيض بها فم الزمان، إذا ما انسدت الحيل
وليس بالمجد ما تشقى الحياة به، فيحسد اليوم أمسا، ضمّه الأزل
فما الحروب سوى وحشيّة، نهضت، في أنفس الناس، فانقادت لها الدول
وأيقظت في قلوب الناس عاصفة، غام الوجود لها، واربدّت السّبل[1]

فتذكيره بحلاوة المجد وفرحة الانتصار كان بغرض إظهار لامح المستقبل المشرق الذي لابد من السعي إليه وبلوغه، مهما كانت الظروف قاسية والطريق صعب.

رتل الرعد نشيدا رددته الكائنات
مثل صوت الحق إن صاح بأعماق الحياة
يتهادى بضجيج في خلايا الأودية
مثل جبَّار بني الجنِّ بأقصى الهاوية[2]

صوّر الشاعر منظر الثورة في شكل مُبهج، وكأنه جو شتوي لا بد من أن يأتي الربيع بعده، فهو مُبشر بزمن لا بطش فيه، لكنه أيضا رسم صورة حسية للطريق الصعب الذي لا بد لأبناء الوطن أن يسلكوه، وهذا ما نلمسه في القول الآتي:

فالرّعد هو انعكاس لأصوات القنابل والرّصاص والصراخ الناتج عن التقتيل والاغتصاب والتعذيب، والشاعر صرَّح بأنه صوت للحق وانعكاس طبيعي له، فالحياة بدأت بالصراخ لتنهي به، فتيمة حب الوطن واضحة متجلية تظهر من خلال تأكيد الشاعر على حق ومشروعية استرداد الوطن وفدائه بالنفس والنفيس. وهذا ما يظهر في قوله:

[1] الديوان، ص 17.
[2] الديوان، ص 18.

يـود الفتـى لـو خـاض عاصـفة الـردى، وصـدّ الخميس المجرى، والأسد الوردا
ليُـدرك أمجـاد الحُـروب، ولـو درى، حقيقتهـا مـا رام مـن بينهـا مجـدا
فما المجد في أن تسكر الأرض بالدما، وتركـب فـي هيْجائهـا فرسـا نهـدا[1]

فهو يندد بصوت الحق، ورغبة الشباب في الدفاع عن وطنهم وفدائه بأرواحهم ودمائهم الزكية، فأمجاد الحروب لا بد لها من ثمن غال، ولا يبلغه إلا من وهب حياته للوطن، وتجلّى ذلك في قوله:

عيشـة للجمـال والفـن، أبغيهـا، بعيـدا عـن أمتـي وبـلادي
لا أُعنّـي نفسـي بـأحزان شـعبي، فهـو حـيّ، يعـيش عـيش الجمـاد[2]

يصبو الشاعر لبلوغ السكينة في حياته حتى يستطيع التعبير عن فنه الذي وهبه حياته، لكن النزعة الوطنية تحول بينه وبين نيل مراده، كما أنه يكره الضعف الذي رسم ملامح العديد من الفترات التاريخية، ليعلن عن مقته للخور والضعف، حيث يصف أبناء هذه الفترات بالجماد وكأنهم لا يشعرون بالمعاناة ويستسلمون للظلم والقهر، فأية حياة وأي بشر هم، لتبقى هذه الفترات حسب الشاعر عار على المستوى التاريخي.

أكّد الشاعر تأكيدا منقطع النظير معلِّلا كرامة الإنسان ودناءة المستعمر الفرنسي الغاشم من خلال تركيزه على تيمة حب الوطن وقداسته، ودور شعبه الذي لا بد من النظر له، وهذا ما صرح به قائلا:

[1] الديوان، ص 56.
[2] الديوان، ص 124.

إذا الشـــعب يومـــا أراد الحيـــاة فـــر بـــد أن يســـتجيب القـــدر
ولابـــــد لليـــــل أن ينجلـــــي، ولا بـــدّ للقيـــد أن ينكســـر
ومـــن لـــم يعانقـــه شـــوق الحيـــاة تبخـــر فـــي جوّهـــا، وانـــدثر[1]

فالشعب هو صانع القرار والمتحكم الأول والأخير في مجرى الثورة، لذا أكد عليه وعلى دوره الذي لا يستهان به إطلاقا، فأمل الشعب يتعانق مع أمل الوطن ومستقبله، لذا تساءل الشاعر قائلا:

أين يا شعب قلبك الخافق الحّساس؟ أيـــن الطمـــوح والأحـــلام؟
أيـــن؟ يـــا شـــعب، روحـــك الشـــاعر الفنّـــان؟ أيـــن الخيـــال والإلهـــام؟
أيـــن؟ يـــا شـــعب فنـــك الســـاحر الخـــلاّق؟ أيـــن الرســـوم والأنغـــام[2]

فاستنهاضه للهمم واضح، ودعوته للثورة أيضا كانت علنية، باعثة للوعي من أجل التغيير، ففرنسا هي العدو الذي لا بد من طرده والفتك به، فلا حياة ولا سلام بوجودها، وعليه فتيمة حب الوطن واضحة وجلية على مستوى المقاطع الشعرية السالفة الذكر، ولعل سبب توظيفها والتأكيد عليها راجع لرغبة الشاعر المستميتة في الدفاع عن وطنه وكرامة شعبه الأبي.

3/2-الحب والمرأة:

يعتبر الحب تيمة رئيسية في أشعار أبي القاسم الشابي وقد ارتبط بأمور وتيمات فرعية كثيرة منها المرأة التي كانت ولازالت هاجس الكثير من الشعراء الذين يتعانقون في التوظيف ويختلفون في الرؤى الفنية والفكرية، وقد وُظّفت في هذا المقام تارة كحبية وتارة كأم، ليبقى دورها محوريا وعاطفتها أساس وسر وجودها، وهذا ما نلمسه من خلال القول الآتي:

[1] الديوان، ص 183.
[2] الديوان، ص 193، 194.

فأنادي:

يا فؤادي؟

مات من تهوى! وهذا اللَّحد قد ضمَّ الحبيب

فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب

ابك يا قلب وحيدا[1]

فالواضح أن قلبه مجروح ويعاني الوحدة، وما القلب إلا رمز للحب العاطفة التي لا يستطيع أحد العيش بدونها، ففي القول مناجاة، بسبب رحيل الحبيبة عن الحياة، فتيمة حب المرأة حاضرة تحمل دلالة واضحة أن الشاعر متحسر على وضعه المأساوي، وقلبه متمزق بين رحيل مؤلم وواقع مرير قاس، ويواصل مناشدته لحبيبته قائلا:

ذُلّ قلبي،

مات حبي؟

فاذرفي يا مقلة الليل، الدّراري عبرات

حول حبّي، فهو قد ودع آفاق الحياة

بعد أن ذلق اللهيب [2]

فالدموع لم تعد تعبيرا كافيا عن الأحزان التي فاقت كل شيء، فرحيل حبيبته جعله مشتتا يعيش حالة من التيه والفقد، كما ربط الوضع الذي يعيشه، بالطبيعة وتحديدا "الليل" كرمز لحلول الظلام واليأس، فالحزن استطاع أن يبسط جناحه على حياة الشاعر، ليزيده من حدة آلامه، وهنا رأى بأن الحب هو سبب في البلاء، مركزا النظر في الزاوية الحزينة، حيث قال مخاطبا الحب:

[1] الديوان، ص 22.،

[2] الديوان، ص 22.

أيّها الحبّ، أنت سر بلائي، وهمـــومي، وروعتـــي، وعنـــائي
ونحـولي، وأدمعـي، وعـذابي، وســـقامي، ولـــوعتي، وشـــقائي
أيها الحب أنت سر وجودي، وحيـــاتي، وعزّتـــي، وإبـــائي[1]

فهنا نجد بأنه أنسن الحب، أي أنه حاكاه وكأنّه شخص لم يجلب لحياة الشاعر غير الأسى والحرمان والعوز، فعلى الرغم من المميزات التي تجعل الحب طموحا وغاية نبيلة يرغب الكل في بلوغها إلا أن جانبه السلبي قد يجر على حياة الإنسان ظلاما لا خلاص منه، لتبقى تيمة حب المرأة غاية في حد ذاتها.

يرى الشاعر في حب المرأة تحقيقا لنشوة وسعادة لا توصف، لدرجة أنه وصفها بسلاف، أي الخمر، فمن المعروف أن الخمر يُذهب العقل ويجعل الإنسان مُنقادا، وهذا ما أقر به الشاعر في قوله:

يـا سـلاف الفـؤاد، يـا سـم نفسـي فـــي حيـــاتي، يـــا شـــدتي؟ يـــا رخـــائي؟
الهيـب يثـور فـي روضـة الـنفس فيطغـــى، أم أنـــت نـــور الســـماء
أيهـــا الحـــب قـــد جرعـــت بـــك الحـــزن كؤوســـا، ومـــا اقتنصـــت ابتغـــائي
فبحـــق الجمـــال، يـــا أيهـــا الحـــب، حنانيـــك بـــي؟ وهـــون بلائـــي[2]

فهنا ربط الشاعر تيمة المرأة بكل مراحل حياته، من منطلق أنها هي التي تسهم في رسم ملامحها، فهي الشدة والرخاء، وجمعها بين المتناقضات يؤكد على أهميتها في حياة الشاعر (الرجل) بصفة عامة، فارتباط المرأة بالحب كارتباط وجها العملة النقدية، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لكن الواضح أنها أدخلت في وجودها في حياة الشاعر الفرحة والبهجة، لكن بمجرد رحيلها تمكنت منزرع السواد والحزن في حياته، لذا وصفها على أنها سلاف،

[1] الديوان، ص 50.
[2] الديوان، ص 50، 51.

فالتأثير بينهما واحد، وهنا قرر أن يشخص الحب ويناشده حتى يرأف بحاله، كما استرسل الشاعر قائلا:

كنّـــا كزوجـــي طـــائر، فـي دوحـة الحـبّ الآمـين
نتلـــوا أناشـــيد المنـــى، بـين الخمائـل والغصـون
متغـــردين مـــع البلابـــل في السهول، وفي الحزون[1]

فالواضح أن الشاعر استطاع من خلال توظيفه لتيمة الحب والمرأة من وصف حياته الماضية الآمنة المستقرة والتي يرفض الخروج من زمانها، ويناشد الحب ليرجعه لها، فاستدعاؤه لعناصر الطبيعة عمل كمساعد للتأكيد على رومنسيته، ومدى السلام الذي كان ينعم به في الماضي، مشبها حالة بحالة الطير الذي يجمع بين الحرية والجمال والحب. كما قال:

وأراق خمـر الحـب، فـي وادي الكآبـة، والأنـين
وأهـاب بالحـب الوديـع فودع العش الأمين[2]

وقوله أيضا:

يا قلبي الدّامي؟ إلام الوجوم؟ يكفيك؟ إن الحزن فظ، غشوم[3]

فهنا تعكس تيمة حب المرأة الوضع المؤلم الذي عاش فيه الشاعر وخيم على حياته لينقله من عالم الحب والأحلام لواقع مرير مظلم، خاصة عندما صرح وأعلن المصير الذي آل إليه الحبيب، والذي يوضحه من خلال القول الآتي:

[1] الديوان، ص 57.
[2] الديوان، ص 57.
[3] الديوان، ص 102.

فإذا من أحب حفنة ترب تافه، من ترائب وجباه
وإذا فتنة الحياة وسحر الكون ضرب من الغمام الزاهي[1]

كان مصير حبيبة الشاعر هو الموت والتحول إلى حفنة تراب وهذا ما حزَّ في قلبه ليناجي الطير والطبيعة أن ترأف بحاله، وعليه فقد وظف تيمة المرأة والحب ليوضح الشاعر من خلالها أضرار الوقوع في حب المرأة، فبعد السعادة لا بد من الألم.

لم يكتف الشاعر بالوصف الشعوري للمرأة، بل تطرق للوصف المادي والذي نلمسه من خلال قوله:

ورأينا الشفاه تبسم عن دنيا من الورد، غضة، أملود
ورأينا النهود تهتز، كالأزهار، في نشوة الشباب السعيد
فتنة توقظ الغرام، وتُذكيه، ولكن ماذا وراء النهود[2]

فتأكيده على الشفاه والتبسم يعكس جمال الحبيبة، كما أن تشبيهها بالوردة له العديد من الدلالات كلها تصب في حقل الحب، أما عن تشبيهه للنهود بالأزهار فيحمل دلالة شهوة جنسية، ورغبة جسدية في المحبوبة، لكن مع كل هذا التصوير والحب المتدفق والمشاعر الجياشة، يطرح تساؤلا هادفا من جرائه إلى الحذر من المرأة، فهي الجنة والجحيم في آن واحد، كما لم يكتف الشاعر بربط تيمة المرأة بالحبيبة والمعشوقة فقط، بل أيضا أكد على أمومتها وعطائها، وهذا ما يوضحه قوله:

يا أيها الطفل الذي قد كان كالحن الجميل
والوردة البيضاء تعبق في غيابات الأصيل
يا أيها الطفل الذي قد كان في هذا الوجود[3]

[1] الديوان، ص 107.
[2] الديوان، ص 118/ 119
[3] الديوان، ص 142.

هو الذي يزين حياة المرأة، ويربطها بالحياة لتنقلب عاطفتها، وعليه فالحب له ارتباط وثيق بالمرأة، لكن الطرف المقابل يختلف باختلاف الوضع، لذا قال مؤكدا:

الأم تلـــثم طفلهـــا، وتضـــمه، حـرم سماوي الجمال، مقدس
تتألــه الأفكــار، وهــي جــواره، وتعـود طـاهرة هنـاك الأنفـس
حـرم الحيـاة بطهرهـا وحنانهـا، هـل فوقـه حـرم أجـل وأقـدس
بوركت يـا حـرم الأمومـة والصّبا كم فيك تكتمل الحياة وتقدس[1]

فالأم هي مرآة توجهها عاطفتها، إلا أن عاطفة الأمومة لا مثيل لها، فهي شعور مقدس يمنح الأمان والطهارة، ويجر نوعا من القداسة عليه، وعوما فقد ارتبطت تيمة الحب بالمرأة لعاطفتها وقداستها ولتحكمها في حياة الرجل سواء أكان شابا أو طفلا أو غير ذلك.

3 /3- الحب والطبيعة:

كانت لهذه التيمة الفرعية حضورا قويا وفعالا يؤكد من خلالها الشاعر انتماءه للمدرسة الرومنسية التي تعلي من استخدام المعجم الطبيعي والارتماء بين أحضان الطبيعة، وهذا ما يوضحه المقطع الشعري التالي:

ألا إنّ أحـــلام الشـــباب ضـــئيلة، تُحطمهـــا مثـــل الغصـــون المصـــائب
سألت الدياجي عن أماني شبيبتي، فقالـــت ترامتهـــا الرّيـــاح الجوائـــب
ولمـا سـألت الـريح عنهـا أجـابني تلقّفهـــا ســـيل القضـــاء، والنوائـــب[2]

ربط الشاعر الأحلام والغصون من خلال تشبيه فني، ربما من منطلق ما يجمعهما من هشاشة وتعرض للانكسار، فكلاهما مشرئب الأعنان، وهذا ما يؤدي به إلى سرعة الانكسار، كما نجد أنه شبه أمانيه بورقة ترتمي بين أحضان الرياح التي تتفنن في التلاعب بها، فهذه الاستعارة رسمن صورة مؤثرة لأحلام الشاعر التي تهاوت، ليرسم مشهدا آخر من

[1] الديوان، ص 204، 205.
[2] الديوان، ص 13.

خلال الريح التي تمكنت من إيصال أحلامه للنوائب أي المصائب، فالمراد من هذه التشبيهات والاستعارات هو فتح المجال أمام التصوير الدرامي للأحداث حتى يتمكن القارئ من عيش معاناة الشاعر بحذافيرها، كما تظهر تيمة الحب والطبيعة من خلال قوله :

الفجـــر يســـطع بعـــد الدُّجى، ويأتي الضياء

ويرقـــد الليـــل قســـرا علـــى مهـــاد العفـــاء[1]

وقوله:

فســـــألت الليـــــل والليـل كئيـب، ورهيـب

شاخصـــــا بالليـــــل والليـل جميـل وغريـب[2]

فالمعجم الطبيعي في القولين السالفين الذكر يظهر من خلال الفجر والليل، فالجر عادة ما يحمل معنى رمزي يصب في الفرح والسرور وإعادة البعث، أما الليل كرمز فيحيلنا على الظلام والخوف، وهنا استعارة ليؤكد على أنه قادر على بعث الكآبة والرهبة في القلوب فمثله مثل المستعمر الغاشم، إذ نلمس أسراره على الليل كرمز طبيعي، إذ قال:

رفرفـــت فـــي دجيـــة الليـــل الحـــزين زُمـــــــــرة الأحـــــــــلام

فـــوق ســـرب مـــن غمامـــات الشـــجون ملؤهـــــــــــــــا الآلام[3]

وكأن الليل هو الشاهد الوحيد على حالة الشاعر وتمزقاته العاطفية واضطرابه النفسي، لذا أكد عليه في العديد من المقاطع الشعرية، كرمز فني، كما أورد أيضا رمز الطائر في قوله:

ليت شعري

أيُّ طير

يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوب

[1] الديوان، ص 16.

[2] الديوان، ص 19.

[3] الديوان، ص 19.

ثم لا يهتف في الفجر، برنات النحيب

بخشوع واكتئاب[1]

فالطير هما رمز للحرية المسلوبة، وتشبيهه لشعره بالطير هو إحالة قبلية على البعد الفكري، الذي يعكس أهمية رسالته في الحياة كشاعر ونبي لأمته، فهو يرحو من تأثر شعره بأن يكون بسرعة الطائر لتبدأ الثورة والتغيير، كما يعود في العديد من المقاطع الشعرية للتأكيد على الربيع، إذ قال:

رتل على سمع الرّبيع نشيده، واصـــدح بفـيض فـؤادك المســجور

وأنشد أناشيد الجمال، فإنها روح الوجـــود، وســـلوة المقهـــور

أنـا طـائر، متغـرد، متـرنّم، لكـــن بصـــوتي كـــآبتي وزفيـــري[2]

وقوله:

يـــا أيهـــا الشـــادي المغـــرد ههنـــا ثمـــلا بغبطـــة قلبـــه المســـرور؟

قبـــل أزاهيـــر الرّبيـــع ، وغنّهـــا رنـم الصـباح الضـاحك المحبـور

واشـرب مـن النبـع الجميـل، الملتـوي مـــا بـــين دوح صـــنوبر وغـــدير[3]

فالربيع يترجم أمل الشاعر في الحرية والعيش في رخاء، فالربيع يأتي بعد الشتاء والعواصف وهذا تحديدا ما يريده الشاعر، لتحقيق حلمة ورسالته.

ومجمل القول أنه كان لتوظيف الرموز الطبيعية علاقة وطيدة بالحب والحالة الشعورية للشاعر، فالطبيعة هي المحتضن للحب، والتعبير عن الحب يكون من خلال رموز الطبيعة، وفي إطار هذه الجدلية يتضح بأن تيمة الطبيعة حضرت لتؤكد أهداف الشاعر ومساعيه السياسية التحررية ونزعته الوطنية التي لم تهمد نيرانها أبدا.

[1] الديوان، ص 21.

[2] الديوان، ص 59.

[3] الديوان، ص 61.

4-تيمة الثورة:

يبشر الشابي بالثورة ويهدد بها ظالميه، ويشجع شعبه على القيام بها والتعجيل بذلك، والشابي من أجل هذا يحاول أن يزرع الثقة بشعبه، وذلك إمّا بوصفه لصور الصمود وثمراته، وإما بإحيائه لماضي شعبه الثائر. فيرى الشابي أمام عينيه نضالا يبشر بالوصول الهدف المنشود، وعلى هذا فهو يطالب شعبه وكل الشعوب بأن تستمر في مسيرتها النضالية، وأن تحطّم القيود على الطغاة، والشابي عندما يطالب بالثورة يرى كل شيء يثور، وهكذا يعمم الثورة حتى على الأشياء، فثار ثورة عارمة لأمته. ثورة ضد الظلم والاستكانة منتقدة بعاطفته الشعرية والوجدانية وصور ظلم المستعمر وبغيه فيقول:

أَلا أَيُّهـــا الظَّـــالمُ المســـتبدُّ حَبيـــبُ الظَّـــلامِ عَـــدوُّ الحيَـــاهْ
سَـخرْتَ بأَنَّـاتِ شَـعْبٍ ضَـعيفٍ وكَفُّـــكَ مخضـــوبَةٌ مـــن دمَـــاهْ
وسِـرْتَ تُشَـوّهُ سِـحْرَ الوُجُـودِ وتبـذُرُ شـوكَ الأَسـى فـي رُبَـاهْ
رُوَيْـــدَكَ لا يخـــدعنْك الرَّبيـــعُ وصحوُ الفضاءِ وضوءُ الصَّباحْ[1]

استخدم الشابي الوصف بالعبارات المناسبة كقوله: "الظالم المستبد – حبيب الفناء – عدو الحياة – كفك مخضوبة بدماء – تدنس الوجود – تبذر الشكوك"، كلها تدل على الحقبة الاستعمارية الظالمة التي عاش فيها الشعب التونسي.

والشعب هو المعني بالثورة لذا فهو الذي يقوم، ولكن الثّائر يجعل دوره في صنعها، وذلك من خلال ما يقوم به ليلهب حمية شعبه ويعمل على توعيته:

إذا الشَّـعْبُ يومـاً أراد الحيـاةَ فـلا بُـدَّ أنْ يَسْـتَجيبَ القـدرْ
ولا بُـــدَّ للَّيْـــلِ أنْ ينجلـــي ولا بُـــدَّ للقيـــدِ أن يَنْكَسِـــرْ
ومَن لم يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ تَبَخَّـــرَ فـــي جَوِّهـــا وانـــدَثَرْ
إذا مَا طَمحْتُ إلى غايةٍ رَكِبتُ المنى ونَسيتُ الحَذرْ[2]

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص208.

[2] المصدر نفسه، ص183.

في هذه الأبيات يستثير الشابي الأمة العربية كي تستفيق وتنهض لتسترجع كرامتها. لأنّ شعبه لا يستطيع ان يحيا حياة كريمة إلا إذا ثار في وجه الظالمين الطّغاة، وحطّم الحصون وكسر القيود.

يتبين أن الشابي وفق الى حدّ كبير في تحديد أسلوبه حيث استخدم أسلوب الشرط فيه كما استخدم الألفاظ الدالة على طغيان المستعمر واستبداده في قوله: "للقيد – ينكسر –اندثر"

كما استخدم الألفاظ الدالة على الأمل والاقبال على الحياة كقوله: "الحياة – طمحت – لبست المنى– خلعت الحذر"، فالألفاظ الأولى فيها يهيب بالأمة أن تتشبث بحريتها وكرامتها، والثانية يبين فيها عن مدى اقباله على الحياة ورفضه الذل والخنوع، وهذا دليل واضح على بعد رؤيته وتمكنه من لغته الشعرية. وهكذا يكون الشابي قد أسهم مساهمة كبيرة في التيار الثوري من دعوته إلى كسر القيود ورفض كل أشكال التصالح مع الواقع الاستعماري من رضوخ وخنوع واستسلام إلى تأثيره الفكري والثقافي في الحركات السياسية والثقافية بعد رحيله.

4-تيمة والاغتراب:

تعدّ تيمة " الاغتراب "من المواضيع التي شغلت بال العديد من الشعراء منذ القديم، في أشعارهم بين الهروب والضياع والتّمزق تارة والتمرد الفردي والثّورة تارة أخرى.

ولدى دراستنا لهذه التيمة نجد أنّ " تيمة الاغتراب " متقاطعة مع " تيمة الموت " حاضرة بقوّة في ديوان " الشّابي"، لكن اغتراب شاعرنا ليس ذاك الاغتراب المتعارف عليه عند باقي شعراء المهجر والمنفى الذين كانت غربتهم عن أهلهم وديارهم، بل هو اغتراب في وطنه الذي يعتبر أقسى أشكال الاغتراب مما يترك صدى قويا في النفس المأسورة بين أهلها وخلانها حيث يكون الشاعر مقيدا مكبّلا في أرضه. فكان اغترابه اغترابا ذاتيّا عاطفيّا وسياسيا واجتماعيا.

4-1 الاغتراب الذاتي:

إن حالة الفشل وخيبة الأمل التي وصل إليها الشاعر من خلال سعيه لتحقيق معيار الذاتية الخاصة به. يتوق إلى عالم مثالي يسود الحب والحق والجمال تجعله يحس بالاغتراب ويعايش الألم وعدم الرضا، وتجلّت في قصائده الروح المتألمة الباحثة عن الخلاص.

وعِشْتَ فـي وَحْشَـةٍ تُقاسـي خـــواطراً كلّهـــا ضـــرامْ
وغُرْبَـــة مَـــا بِهـــا رَفيـــقٌ وظلمـــةٍ مَـــا لهـــا خِتـــامْ
تشـــقُّ تِيـــهَ الوُجُـــودِ فـــرداً قَـدْ عضَّـكَ الفَقْـرُ والسُّـقَامْ[1]

يخاطب الشاعر ذاته في ظل غياب الصديق والرفيق، " فالعازف الأعمى " هو ذلك الشاعر الغامض المختفي في أسرار وجوده الذي يعاني بصمت رهيب في وحشة ظلماء من غربة وفقر ومرض يضيق عليه الخناق. ويجسد هذا الشعور النفسي في صورة حسية قوية تعجّ الصور البيانية التي تعبر عن حالة الوحدة والعزلة التي يعانيها حين وظف الاستعارات والتشخيص لخطف جو من الوحشة والألم ومنها:

(وحشة تقاسي) جعل الوحشة المظلمة كالإنسان الذي يكابد أهوال الحياة وحذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته(تقاسي) و(غربة ما بها رفيق) كناية عن الوحدة الشديدة تعكس حالة الشاعر النفسية. وتتعدد تيمة الاغتراب الذاتي من خلال خطتين رئيسيتين:

أ- الاغتراب العاطفي والوجداني:

يميل الإنسان بطبعه إلى الوحدة والعزلة والتأمل مع النفس بعيدا عن آلام الدنيا وصخبها، ويفتش دائما عن الخلاص من همومه وآلامه والعيش بسلام باحثا عن الوسائل التي تتيح له ذلك كالصدق والحب.

لكن إذا اتفق المحب يجد نفسه أمام فراغ كبير يشكل له اغترابا عاطفيا، وهذا ما عاشه " الشابي "من خلال تجربته العاطفية. والمؤسف أنها انتهت بضربة قدرية فقد فيها محبوبته

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص50.

وهي كالوردة لا تزال تتفتح، فطُعن المحب طعنة قوية مزقت قلبه حزنا فأبكها بكاء مرا فيقول في قصيدته:

مهما تضاحكت الحياة فإنني أبدا كئـــــيب
إني أنا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب[1]

أصبح الشاعر يعيش حياة كئيبة في ظل الاغتراب بفقدان حبيبته وأن هذا الحب لن يعوضه أحد، فقد احساسه فأصبح يرى الموت شكلا آخرا يستبدل به ما فقد.

ومن هنا نلحظ أن الاغتراب الوجداني ذا بعدين إيجابي وسلبي، فالإيجابي نجده في مشاعر الأمل وجمال الحياة الذي تمثل في تفجير شحناته وخلق شعر يقابل الاغتراب بقوة الذات وتجاوزه عبر الابداع. هرب الشاعر إلى خياله عبر رحلته الإبداعية للتخلص من غربته الروحية وصراع ذاته

يـا صَـميمَ الحَيَـاةِ إنّـي وَحيـدٌ مُـــذْلجٌ تائِـــهٌ فـــأَينَ شُـــرُوقُكْ
يـا صَـميمَ الحَيَـاةِ إنّـي فـؤادٌ ضـــائعٌ ظـــامئٌ فـــأَينَ رَحيقُـــكْ[2]

أما السلبي سيظهر في الحالة الشعورية المأساوية التي يعانيها الشاعر فهذا يعتبر العنصر الأساسي لهذا التشتت والتمزق النفسي الذي يعيشه الشاعر

نَاحتْ بنفسي مآسيها وما وَجَدَتْ قلبـــاً عطوفـــاً يُسَـــلّيها فَعَزّينـــي
يا رَبَّةَ الشِّعْرِ غنّيني فقد ضَجِرَتْ نفسـي مـنَ النَّـاسِ أبنـاءِ الشَّـياطينِ[3]

ب- الاغتراب السياسي

ونقصد بالاغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز أمام القرارات السياسية لوطنه ومجتمعه، وقد نشأ اغتراب الشابي نتيجة شعوره بالضياع وما سببت له الأوضاع السياسية من ظلم وقهر خلال فترة الاستعمار، وخضوع لسلطان القبول من قبل شعبه، فلم يعد قادرا

[1] المصدر نفسه، ص93.
[2] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص121.
[3] المصدر نفسه، ص71.

على تحمل الحالة التي وصل إليها وطنه فثار ثورة في وجه المستعمر الذي جعله غريبا في وطنه:

أَلا أَيُّهـــا الظَّـــالمُ المســـتبدُّ حَبيــبُ الظَّــلامِ عَــدوُّ الحيَــاهْ
سَخرْتَ بأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ وكَفُّــكَ مخضــوبَةٌ مــن دمَــاهْ
وسِـرْتَ تُشَـوِّهُ سِـحْرَ الوُجُـودِ وتبـذُرُ شـوكَ الأَسـى فـي رُبَـاهْ[1]

يكشف الشاعر عن جرائم المستعمر من خلال استخدام أسلوب النداء الانكاري بصرخة قوية موجهة للمستعمر وينعته بالظالم المستبد الذي جرّد شعبه من حقوقه فينقل لنا صورة الاغتراب الذي يعيشه شعبه في ظل حكم مستبد، لاقى "الشابي" العنت من شعبه حيث عاش العديد من المصائب التي كانت تحيط به من كل جانب فأحس بالغربة داخل وطنه:

شُـرِّدْتُ عـن وَطَنــي السـماوي الـذي مــا كــان يومــا واجمــا مغمومــا
شُرِّدْتُ عن وَطَنـي الجميل أَنـا الشَّـقِ يُّ فَعِشْـتُ مَشْـطورَ الفـؤادِ يتيمـا[2]

فنرى أنه يصور لنا تشرده في وطنه الذي يحبه ويراه أحسن الأوطان رغم ما فعل له من رفض وانكار، واستعمل لفظة "سماوي "كرمز لطهر وطنه الذي احتواه منذ صغره باحثا عن تطوره والارتقاء به. فنلاحظ ترسيخ روح الغربة والضياع المفروض عليه من خلال تكرار لفظة "شردت"

6- تيمة الشّعر

للشّابي منفذ آخر يهرب عبره من واقعه المرير المليء بالآلام والأحزان وخيبات الأمل، وهذا المنفذ هو الشّعر لأنّه اللّسان النّاطق الذي يعبّر عن المشاعر والأحاسيس، فيراه الصّوت الذي يخرج من أماق النّفس خاصّة عندما تكون مثقلة بالحزن والكآبة، وهذا ما قاله على لسان حاله في مطلع قصيدة "يا شعر":

[1] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص208.
[2] المصدر نفسه، ص 89.

يَــا شِــعْرُ أَنْــت فَــمُ الشُّعُور وصَرْخَةُ الرُّوحُ الكَئِيــب
يَــا شِــعْرُ أَنْــتَ صَــدَى نَحِيــبُ القَلْــب والصَّــبُّ الغَرِيــب[1]

نجد "الشّابي" يخاطب الشعر ويحاكيه على أنّه شخص، ويكشف عن العلاقة الوطيدة التي تربطهما والمتمثّلة في علاقة الأب بابنه الذي يحمل مشاعره وحنينه الأبدي، إذ تتجلى بين طيّات خطابه عاطفة قوية صادقة وهذا ما أكّده في قوله:

أَنْتَ يَا شِعر فِلْذَةٌ مِنْ فُؤَادِي تَتَغَنَّــى وَقِطْعَــةٌ مِــنْ وُجُــودِي
فيكَ مَا فِي جَوَانِحي مِنْ حَنِين أَبَــدِيٌّ إِلَــى صَــمِيمِ الوُجُــودِ
فيكَ مَا فِي خَوَاطِرِي مِنْ بُكَاء فيكَ مَا فِي عَواطِفِ مِن نَشِيدِ[2]

الشّعر يحتضن كون الشّاعر ويعبّر عن كلّ ما يخالج نفسه. فالشّابي يؤمن بكون الشّعر وسيلة من وسائل التّعبير عن الإنسان باعتباره متنفّسا يُخرجه من عالم الشّجون والهموم إلى العالم المنشود، فيرى أنّ الشعر تعبير عما يجول في خاطره وله الفضل الكبير في تجاوز المصاعب وهموم الحياة، فلم تكن غايته من نظم الشّعر التّرف أو التّزيين، بل هو تنفيس صادق عن أحاسيسه المتدفّقة حيث قال:

شِــعْري نُفَاثَــةَ صَــدْرِي إِنْ جَاشَــا فيــه شُــعُورِي
لَــوْلاَهُ مَــا إِنْجَــاب عَنِّــي غَــيْمُ الحَيَــاةِ الخَطِيــرِ
لَأَنْظُــمُ الشِّــعْر أَرْجُــو بِــهِ رِضَــاءُ الأَمِيــر
بِمَدْحَــةٍ أَوْ رِثَــاءٍ تُهْــدَى لِــرَبِّ السَّــرِير[3]

[1] الديوان، ص 37.
[2] الديوان، ص 93،94.
[3] الديوان، ص 35.

6-1 الشعر والمجتمع

كان الشعر وسيلة لإيصال مبادئ الشّابي لمجتمعه لأنّ تجربته الشعرية لم تكن مجرّدة عمليّة فنّية مقصودة لذاتها بل كان ينبغي أن يوصل رسالة الإصلاح والتّمسك بالحرية لكنّه لم يلمس ذلك في شعبه فراح يبحث عن راحة باله وسعادته التي وجدها في شعره بعيدا عن مجتمعه وأفراده الذين سخط عليهم وعلى جمودهم وركودهم بعد أن عجز على إصلاحهم واستنهاض هممهم حيث قال:

عِـيشَة للجَمـــَالِ وَالفـــَنّ أَبْغِيهَا بَعِيدإِ عَنْ أُمَّتِي وَبِلاَدِي
لاَ أُعَنِّي نَفْسِي بِأَحْزَانِ شَعْبِي فَهُوَ حَيٌّ يَعِيشُ عَيْشَ الجَمَالِ[1]

يرى " الشّابي" الشعر رسالة نبيلة تحمل معاني الحرية والجمال والأمل والتّمرد على الواقع، فالشاعر يملك بصيرة خاصة تجعله أكثر وعيا بالكون والحياة لأنه يلقي على عاتقه هموم وطنه وشعبه.

6-2 الشعر والمرأة

تغنّى "الشّابي " بالمرأة وبجمالها الروحي الذي يعطي لجسدها معنا آخر حقيقيا، فكانت عنه الخيال والأناشيد والجمال والأحلام ورمزا للكمال القديم المستحدث، فتعتبر المرأة مهدئا معنويا لأحزان الشابي ومخدرا لأعصابه، ويجد فيها الملاذ الوحيد الذي يهدّيه من صعاب الحياة ومشقّتها، فهي رسولا إلهيا ينحدر من المناطق العالية لتبثّ الفرح والنّقاء الدّاخلي المحمّل بالأرواح اللّطيفة لتسكب فيها إكسير الحبّ والجمال حيث يقول:

إِنَّ فِي المَرْأة سِحـــْرإِ عَبْقَرِيّإِ يُذَكِّـــي الأَسَى وَيُنَمِّيهِ[2]

لقد نالت المرأة حيّزا كبيرا عند الشابي لتقديسه لها وهذا جليّ في معظم قصائده منها " الجمال المنشود، مأتم الحب، صلوات في هيكل الحب الذي يقول فيها:

[1] الديوان، ص 124
[2] المرجع نفسه، ص159.

أنْــتِ أُنْشُــودَةُ الأَنَاشِــيد غَنَّــاكِ إلَــه الغِنَــى رَبُّ القَصِـيدَة
أَنْتِ دُنْيَا مِنَ الأَنَاشِيدُ وَالأَحْلاَم وَالسِّـحْرِ والخَيـالِ المَدِيـد[1]

عمد الشاعر إلى تكرار ضمير المخاطب " أنت" في كثير من المواضع في القصيدة حوالي 22مرة ليوجّه القارئ إلى اللفظة المركزيّة في بناء القصيدة والمغزى من تكرارها بجميع أحوالها الحوار الدّاخلي في نفسية الشاعر. لا يستطيع الشابي فصل نظرته الحزينة للمرأة عن مأساته الكبرى، نظرة ملؤها أسى وحزنا نتيجة وفاة المرأة التي أحبّها التي تعكس رؤيته المأساويّة للحياة، فالمرأة عنده تضاهي الموت فتحول حبه إلى فاجع مريرا تعكس حياته:

أَنْــتَ صَــرْحٌ شَــادَهُ الحُــبُّ عَلــى نَهــرِ الحَيَــاة
لِبَنَــاتِ الشِّــعْر لَكِــن قوَّضَــــتْهُ الحاَدِثَــــاتِ[2]

6-3 الشعر والحياة

الشعر حياة تتألّق بالجمال وتنم عن النّور الذي يضيء حياة الشّاعر المظلمة بالأحزان والمليئة بالموت، حيث تحدّث الشعراء عن رؤية "أبي القاسم الشابي" في الشعر والحياة فقالوا: "رسالة الشاعر كما يرى الشابي هي تلك التي توسّع أفق الحياة في نفسك، وتجعلها تحسّ بتيارات الوجود أكثر ممّا كانت تحسّ، وتدرك معانيه وأصواته أكثر ممّا ألفت أن تدرك، وتنسيك وجودك[3] الإنساني لحظة لتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ويصبُغ منه على نفسك "

ومن هنا نجد أن "الشابي" ولدت عنده قوة شعرية عجيبة جعلته قادراً على نقل تجربته الشعورية وعلى اختراق الواقع الذي ظل مبهما وراء لغة كاذبة فهو يملك ملكة خيالية فذّة

[1] المرجع نفسه، ص 132
[2] الديوان، ص 101
[3] د إيناس محروس بوبس، مقال رأي، في ذكراه ...الشابي وشعره المقاوم من الموجة إلى الطوفان،16/10/2023، 11:23.

عبّر بها عن أحاسيسه معوضا شعوره بالنّقص من ألم المرض الذي قلب حياته رأسا على عقب بالإبداع والتأمل فغنى مقدّسا الخيال:

فـــي فُـــؤادِ الرحِيـــب معْبَـــــــدٌ للجمـــــــال
شـــــــيَّدتْهُ الحيـــــــاةُ بـــــــالرّؤى والخيـــــــال[1]

يعبّر الشاعر عن انهياره الداخلي وصراعه مع الآلام وخيبة الحياة التي يتلاشى فيها الأمل لأنه صُدم بواقع عصيب حيث مازال شابا يحلم بنظارة الحياة فلم يجد سوى الموت كخيار بديل للحياة حيث يقول:

جفَّ سِحرُ الحياة يا قلبي الباكي فهـــيا نجّرِّب المـــوت هيّا[2].

قال الشابي هذا البيت وهو يُحتضر على فراش الموت مبيّنا موقفه منه خلاف المحتضرين، فنرى في شعره استسلامه للفناء والموت بكل فرح ولهفة، فاستعمل لفظة "نجرّب" التي تحمل دلالة عميقة بأن الشاعر يرى حياة أخرى جميلة في الموت، فيُعبّر من خلالها على موقفه من الحياة وما خلّفته له من آلام وأحزان جعلته يرى في الموت حياة ومتعة لم يجدها في التجربة التي عاشها.

تقوم شعرية الموت في ديوان "أغاني الحياة" على تداخل التيمات الشعرية التي تربطها دلالات رمزية تدور في مخيلة الشاعر التي تعكس الواقع الذي يعيشه منعكسا على رؤيته السوداوية التي هيمنت عليه فكرة الموت.

[1] الرواية، ص176.
[2] الديوان، ص156.

المبحث الثاني: سيميائية عنوان الديوان "أغاني الحياة"

العنوان يشكّل عتبة مهمة في النص، يختزل فحوى النص ويعبّر عن مضمونه، فهو الوسيط الأول بين النص والمتلقي، وهو العلامة والمفتاح الذي نستطيع أن نفتح به العمل الأدبي، فهو إشارة لها علاقة احتمالية القدرة على استحضار دلالات النص.

وعنواننا اليوم الذي سندرسه هو "أغاني الحياة لأبي القاسم"

I. المستوى الصوتي:

1- المقطع الصوتي (أ، غـا، نـي)

أ: حرف الهمزة مخرجه جوفي يمتاز بصفة الشدة والهمس.

دلالته: عمق مخرج الصوت ينسجم تماما مع عمق آلام الشاعر، كما تظهر شدته في شدة حزنه ومعاناته.

الغين(غـا): مخرجه أدنى الحق مهجور مستعلي رخوي اهتزازي.

دلالته: هذا الصوت يبرز قوة آلام الشابي التي يعاني منها ولم تزول، فازدادت هذه الآلام بعد فقدان السند الذي كان يحتمي به، إضافة إلى المرض الذي اخترق جسده، فأصبح يبوح بآلامه المحبوسة في أضلعه التي تكاد تنفجر، ما زاد في نزيف جراحه حرقته على وفات حبيبته، الذي وضع الملح فوق الجراح المتتابعة[1].

يـا مَـوْتُ قـدْ مزَّقْـتَ صَـدْري وقَصَـــمْت بـــالأَرزاءَ ظَهْـــرِي
وفَجَعْتَنـــــي فـــيمَنْ أُحِـــبُّ ومـــنْ إليـــهِ أَبُـــثُّ ســـرِّي[2]

النون (نـي): أول طرف اللسان مع ما يحاذيه من الطرف الأعلى من صفاتها متوسط، مجهور، منفتح.[3]

[1] عادل محلو، عالم الأصوات بين القدامى والمحدثين، مطبعة مزوار، ط1، الوادي، 2009، ص47.

[2] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص103.

[3] عادل محلو، عالم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص48

دلالته: ملمس أنين الشاعر الذي يخفيه في نفسه حتى اختار الانطواء والعزلة متعايشا مع همومه وانكساره الذي أصبح يلازمه مما أدى إلى تعوده على الجراح لدرجة أنه لم يعد يشعر بها، وهذا الأنين والانكسار يتردد كالنشيد الذي يُطرب السامع برقته وعذوبته، فـ"الشابي" سبّبها بالنّغم والنشيد في العذوبة والرقة من قوتها وشدتها على نفسه:

آهٍ علـى قلبـي وإنْ شَقيتُ كَشَقْوَتِهِ قُلُوبْ[1]

2- المقطع الصوتي: (الـ، ح، يـا، ة)

اللام: مخرجه أدنى الحافتين (لثوي أسناني)، صفته التوسط والانفتاح والانحراف، كذلك الجهر والاستفلال والذلاقة، الليونة والتماسك.

دلالتها: الضربات القوية التي هزت سكينة الشابي وهدوءه سرعان ما تصادمت وتضاربت بالظروف التي غيرت مجرى حياته من سكينة وهدوء إلى شتات وعدم الاستقرار النفسي.

الحاء: مخرجه وسط الحلق (منطقة لسان المزمار) من صفاتها مهموسة، مستفلة، مصمتة، رخوة، السعة، الانبساط، الحرارة الرطوبة.[2]

دلالتها: إن "الشابي" عاش حياته في بدايتها سعيدا منبسطا مع والده الذي أعطاه حنانه وكان سنده وظهره الذي يتكئ والأرض التي يرتكز عليها.

فآلت هذه الصلابة إلى الهشاشة والانزلاق بسبب الواحدة التي عاشها وخذلان شعبه، لكنه كان غيورا على وطنه محبا له.

رغم سعة صدره وصبره على مصائب الحياة إلا أن تأخر الفرج أدى إلى انكسار ظهره.

اليـاء: مخرجها من وسط اللسان مع ما يحاذيها من الحنك الأعلى، صفاتها الجهر مصمتة، رخوة، مستفلة.

[1] المصدر نفسه، ص90.

[2] عادل محلو، عالم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ص47

دلالتها: صعوبة الحياة التي عاشها "الشابي" وطول مساره المرير، والمد المتصل بالياء يوحي بالانسياب لها رغم مرارتها، فقاوم آلامه بالتعبير عنها بشكل ألحان.

التـــاء(ة): التاء المربوطة وتنطق عند الوقف (هـاء) مما يحرك أثرا صوتيا خفيفا[1]. مخرج الهاء من أقصى الحلق، أما عن صفتاه: الهمس، الرخوة، الاستفال، الانفتاح والاصمات.
دلالتها: مقومة "الشابي" للحياة إلى آخر نفس ينتهي بالموت.

II. المستوى التركيبي:

1- النحوي:

العنوان جاء جملة إسمية وهي تتألف من: مسند(الخبر) ومسند إليه(المبتدأ) محذوف تقديره (هذه) إذ يُعد العنون جملة إسمية صغرى، لأمها فقدت ركنا من أركانها وركيزتها الأساسية هي المسند إليه(المبتدأ) الذي حذف، فالتركيب يتضمن دلالة الثبات والديمومة (السكون والاستمرارية)، تعكس استمرارية ألمه وأحزانه التي سببها فقدان أحبابه لكن حبه في الحياة هو يروم الحالة الخالية من الشقاء وليس مجرد ودبّ الروح في الجسد.

[1] المرجع نفسه، ص48.

المبحث الثالث: التركيب والخلاصة

شكلت المواضيع الفرعية أو التيمات الفرعية في إبراز تيمة الموت بشكل واضح ودقيق وذلك من خلال تسلسل وربط التيمات في هذا الديوان عن طريق التعبير عنها في الموضوع الرئيسي الذي يتميز في عدة تيمات بارزة منها:(الحياة والطبيعة والمرض والثورة والحزن)، فتناولت هذه التيمات وصف حالة أبو القاسم الشابي الذي عاش حياة حزن عميق والكآبة بانت واضحة وجلية من خلال قصائده، كما أنّها شكلت تجربة شعورية صادقة، فعكس صراع الشاعر مع مرضه والواقع البائس، كما أنّه ربط شعره بالطبيعة فصورها في صور مختلفة ومتنوعة، وذلك من اجل بعث الأمل للحياة من جديد، فالجمال عنده سبيل للسمو والعلو الروحي، فالشعر جاء كرد فعل على معاناته المؤلمة التي تسببت له في عقد نفسية فهو يعاني من عقدة المازوشية والعذاب النفسي وجلد الذات، فهو يتلذذ في التعبير عن الألم من خلال كلماته لتفريغ مشاعره وأحاسيسه ومشاركتها مع القارئ،

لقد احتال الشاعر على موته المبكر فارتقى سلما للخلود بطريقة تبدو كما لو أن القدر قد خدمه فيها "أصغي لموسيقى الحياة ووحييها/وأذيب روح الكون في إنشاء"، وهو ما فعله حين كتب ديوان "أغاني الحياة" الذي اتسم بارتباطه الوثيق بالعالم الحقيقي لكي ينتزع لنفسه اسما مرصعا خالدا في الوجود منتصرا على العدم[1]، وذلك جلي في أغلب شعره وهذا ما جسدته قصيدة "قلت للشعر".

أنـتَ يـا شِـعْرُ فلـذةٌ مِـنْ فـؤادي تَتَغَنَّــى وقِطْعــةٌ مِــنْ وُجُــودي
فيكَ مَـا فـي جوانحي مِنْ حنينٍ أبــديٍّ إلــى صــميمِ الوُجُــودِ[2]

يظهر بعد التحليل النفسي للديوان أن تيمة الموت تخللها بُعدٌ مازوشي باعتباره اضطراب خفي بين الألم واللذة، فالشابي يُظهر جلد نفسه في تعامله مع الفقد والمرض الذي

[1] صحيفة العرب، أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي–فاروق يوسف، السبت 16 ديسمبر 2017
[2] أبو القاسم الشّابي، ديوان أغاني الحياة، ص93.

أثار معاناته نفسيا وجسديا حيث كان يجهد نفسه في طلب اللذة ويعتقد ماحل به من آلام وأحزان التي لا يمكن قياسها بأحد بعده.

فما الدّمْعُ إلاّ شرابُ الدّهورِ وما الحزن إلاّ غذاءُ الحياةْ
إلى الموتِ، فالموتُ مهدٌ وثيرٌ تنامُ بأحضانه الكائناتْ[1]

وهذا الإلحاح على تعذيب الذات دليل على أن الشاعر مازوشي إذ أن هذا "العُصابي" ضد مصلحته الشخصية بتحطيم آماله وأحلامه التي تفتح له باب الحياة.

حيث استمر في إرهاق نفسه وإهمال مرضه من خلال الانكباب على المطالعة والقراءة وعدم مراعات حالته الصحية وهذا كلّه لأجل تعذيب نفسه.

وينتقل الشعور المازوشي عند "الشابي" في ظل الرغبات المفقودة وعدم التحقق العاطفي بموت حبيبته التي تركت فراغا رهيبا في حياته حيث استطاب عذاب نفسه بعدها وتلذذ بعذابها فيقول:

وعشْ كما شاءَت اللّيالي من آهاتِ النّايِ والرّبابِ[2]

وتقوم التجربة الشعربة لـ"أبي القاسم الشابي" في ديوانه على مفارقة بين الحياة والموت، فنجده من جهة يُنشد الحياة بما فيها من أمل وجمال وحب ونجده في المقابل لا يفلت من وشاح الموت الذي يترصده بسبب مرضه، ومن هنا نجد أنه يشتق من ذاته المعذبة أغانيه ويغني للحياة من قلب الموت:

إنَّ هــذي الحَيَــاةَ قيثــارَةُ اللهِ وأَهْــلُ الحَيَــاةِ مِثْــلُ اللَّحُــونِ
نَغَـمٌ يَسْـتَبي المَشـاعِرَ كالسِّـحْرِ وصَــــوْتٌ يُخِــــلُّ بــــالتَّلْحينِ
واللَّيــالي مَغَــاوِرٌ تُلْحِــدُ اللَّحْــنَ وتَقْضي على الصَّدى المِسْكِينِ[3]

[1] دوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي، ص 88.
[2] المرجع نفسه، ص 88.
[3] المرجع نفسه، ص 14.

بحيث أن الشاعر أبدع في وصف إلهامه وإبداعه الشعري، وذلك بوصف المشاعر الداخلية بطريقة تجعل القارئ يحس بصدق وعمق هذه التجربة الشعرية التي مر بها الشاعر والكشف عن الوعي واللاوعي من التيمة الرئيسية الموت وتفرعاتها.

"ولا ينبغي أن نفهم أن مشاعر النقص صنو الشذوذ في السلوك، وهي لا تكون كذلك الا في حالات خاصة، وعندما تون مبالغا فيها نتيجة التدليل الزائد للأطفال مثلا، او نتيجة نبذهم وحرمانهم من الحنان والحب والرعاية، وفي هذه الاحوال قد تسيطر على الطفل عقدة نقص أو عقدة فوق تعويضية"[1].

فالشخص الذي يكافح من أجل تقديره لذاته، والقوة والعظمة من أجل أهداف أنانية، فهنا تتحدد الطريقة التي يعاني منها الشّخص والنقص العضوي بصورة نفسية، كما جاء في ديوان أبو قاسم الشابي، حيث أنها تشكلت ضمن سياق نفسي واجتماعي لتصوير الألم النفسي العميق، فالشاعر أبدع في شعره من خلال هذه الألم.

ولقد ساهمت تيمة الموت بشكل واضح وصريح في تفريغ ألم الشاعر، فالشعر جاء كأداة للتعبير عن ألم ومشاعر الشاعر الحزينة، أمّا علاقة الموت بالتيمة الرئيسية، فالموت مصدر الحزن والألم في حياة الإنسان، لذلك جاءت التيمات الفرعية لتشكل صورة شعرية عن حقيقة الموت، فالترابط واضح بين التيمات الرئيسة والفرعية من معاناة الشاعر المتشكلة في هذا الديوان بحيث أن تيمة الموت أخذت مكانة معتبرة في هذا الديوان، إذ أنّها تيمة رئيسة تختلج النفس الذات الشاعرية لأبي القاسم الشابي لكونها تُوحي على دلالة عميقة والترابط النَّفسي الذي يتجلى مع ذات الشاعر.

[1] فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية–المقاربة العيادية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت لبنان، 1996م، ص 84.

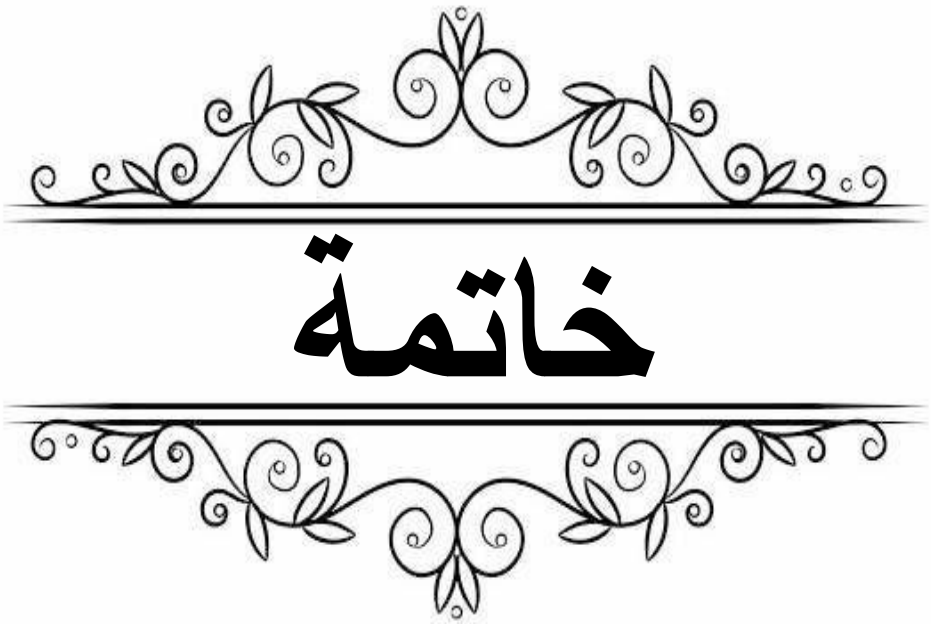
خاتمة

في ختام بحثنا توصّلنا إلى مجموعة نتائج آثرنا عرضها على النّحو الآتي:

_ أنّ تيمة الموت هي التّيمة الرّئيسيّة التي احتلت مكانا واسعا في ديوان الشابي من خلال تعبيره عن تجربته النفسية من حزن وألم الفقدان والتي انبثقت عنها تيمات فرعيّة تمّ التّوصّل إليها من خلال آليّات المنهج الموضوعاتي.

_ أنّ التيمات الفرعيّة: الحزن والحب والمرض والغربة والشعر تصالحت كلّها ضدّ "الشّابي" لكي تحرمه الراحة والسّكينة حيث أصبح الموت عنده حركة مزدوجة تمثّلها نافذة تنفتح أحيانا فيظهر من خلالها الأمل وتنقبض أحيانا أخرى فيضيق الخناق على الشّاعر فيطلق صراخه طلبا للموت السّريع.

_طغت تيمتا الحزن والحب على الديوان التي تشابكت مع تجربة الشاعر العميقة، فاتخذ الحب عنده طابعا حزينا تلبّسه الموت من جميع جوانبه الذي كان امتدادا لصراعه مع الألم والعدم.

_عانى الشابي عذابا شديدا من مرضه الذي سبّب له الالام وأثر على حالته النفسية ما جعله يطلب الموت لأنه يجد فيه راحته.

_ ثورة الشابي صورة من الرفض التام للمستعمر بكل أشكاله، فجاء هذا الرفض بأسلوب حاد اتّخذ من القوة وسيلة لإحداث تغيير شمولي.

_اغتراب الشابي في وطنه ولّد له عقدة نفسية جعلته مكبلا عاجزا أمام المشكلات والقضايا العالقة في وطنه فأدرك غربته في هذا الوجود لذلك أراد التخلص منه باللجوء الى الموت.

_ برزت تيمة الشعر في الديوان باعتبارها الموجه الرئيسي للرسالة الشعرية التي تحمل الرؤية المأساوية للشابي فعبر عن الحب والحزن والاغتراب والحياة وربط بين كل هذه التيمات التي تشترك في التيمة الرئيسة وهي الموت.

_ يبدو اللاّوعي الشّابيّ قد اندفع به إلى اتّخاذ قرار غير عقلانيّ تحت تأثير انفعالات مضلّلة وهو نسج خيوط حريريّة حول عنقه، ولقد كان الدّاء إبرة تسهم في حياكة خيوط الموت.

_ تجلّت المازوشيّة عند "الشّابي" في تلذّذه بتعذيب نفسه من خلال التّماهي الاندفاعي اللاواعي مع ما يعانيه من آلام وأحزان.

_ لم يكن مركّب النّقص لدى "الشّابي" نتيجة معاناته مع المرض المبكّر والفقد ضعفا بل كان قوّة إبداعيّة تمثلت في كتاباته.

_ يحمل عنوان الدّيوان بين جنبتيه فرحة وبهجة لكن في فحواه ألما وحزنا.

وخلاصة القول الشاعر الشابي بالرغم من الهموم التي اجتمعت عليه إلا أنه استطاع رغم قصر عمره أن ينتج ديوانا كاملا محاولا التّغلب به عن مرضه وآلامه ليكون إبداعه الشعري نافذته يطلّ من خلالها على الراحة.

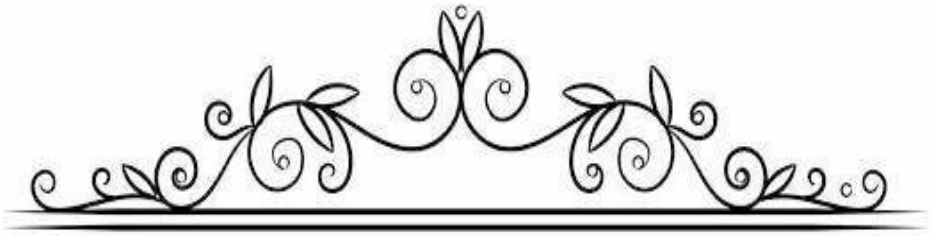

قائمة المصادر والمراجع

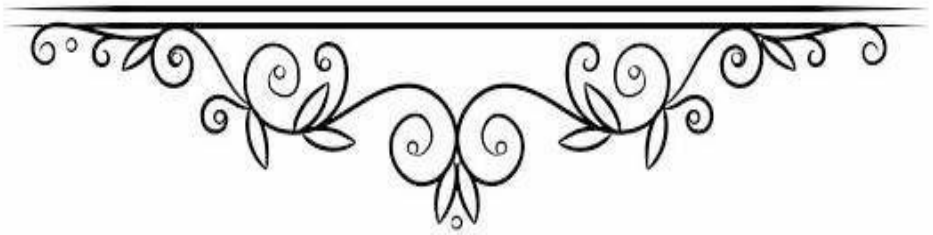

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- **القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع.
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، جذر(موت)، ج 55، مج6.د ت.
- أبو الطّيب المتنبّي، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر، د، ط، بيروت، 1403هـ 1983.
- أبو القاسم الشابي، ديوانه، (د–ط)، دار العودة بيروت–لبنان–1997م.
- أحمد الزين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1995
- الإمام محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب اليفا، دار الهدى، ط4، عين مليلة، الجزائر، 1990.
- محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، دار العودة، بيروت، د ط، ج 4/1. 1998.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج، 2 بيروت.1998.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة 2004.

المراجع:

- أبو القاسم محمد كرو: الشابي في مرآة معاصريه، ط1، درا المغرب العربي، تونس، 1994م.
- أبو القاسم محمد كروا: أثار الشابي وصداه في الشرق، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1961م.
- أحمد الزين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1995
- أحمد حسن بسج: ديوان أبو القاسم الشابي، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م.
- جمال لحميداني، سحر الموضوع عند النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة آنفو فاس، ط2، المغرب، 2014.

- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة مطابع الرباط نت، ط1، المغرب،2015.
- رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: سعيد الغانمي، دار الفارس، ط1 لبنان، 1996.
- رضوان ظاظا، مدخل الى مناهج النقد الأدبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1997.
- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطابعة للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1989.
- عبد الكريم حسن، البنيوية الموضوعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983.
- علي بن محمد الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط ج، 1985.
- عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربة الهيرمينيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، ط1الجزائر،2007.
- فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، المقاربة العيادية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت لبنان، 1996م.
- هند الشويخ بن صالح، إبراهيم بن صالح: الشعر الوطني (أحمد شوقي – أبو القاسم الشابي) ، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2019م.
- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور الجزائر، ط2، 2009.

الرسائل والمجلات:

- حنان أحمد خليل الجمل، أطروحة ماجستير في اللغة العربية، الموت في الفكر الإسلامي جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2003. الشرق الأوسط. صحيفة العرب الأولى، نشر يوم 5_ مارس_.2019على الساعة03:40
- عزيز العكايشي، إشراف: سعد الدين الجيزاوي: مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشّابي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 1980.

- فاطمة هرمة، النقد الموضوعاتي الماهية والتشكيل، جامعة غرداية الجزائر، المجلد 15، العدد1، جانفي 2020
- محمد أسامة العيد، المؤلف والنص: النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 403.
- فاروق يوسف أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي–، صحيفة العرب، 2017

يهدف هذا البحث للكشف عن "تيمة الموت" في الشعر الحديث، من خلال ديوان " أغاني الحياة" لأبي القاسم الشابي، وفق المقاربة الموضوعاتية بمرحلها الإجرائية الثلاث: الإحصاء والتحليل والبناء، والاستعانة بأدوات تحليلية من الأسلوبية والسيميائية وعلم النفس.

وتوصل البحث إلى أن تيمة الموت في الديوان لديها شبكة علاقات موضوعية تربطها بتيمات فرعية: المتمثلة في الحزن والمرض والحب والثورة والاغتراب والحياة.

ومن خلال تحليل التيمات الفرعية، وربطها بالتيمة الرئيسية "الموت" في مرحلة البناء، توصل البحث إلى لاواعي الشاعر وتمثل في عقدتي مركب النقص والمازوشية.

الكلمات المفتاحية: الموضوعاتية، الشعر، تيمة، الموت، التيمة الرئيسية التيمات الفرعية.

Abstract:

This research aims to explore the ***theme of death*** in modern poetry through the collection *"Songs of Life"* by ***Abu al-Qasim al-Shabi*** ،following the ***thematic approach*** in its three procedural stages: **inventory** ،**analysis** ،**and construction** ،while also employing analytical tools from **stylistics** ،**semiotics** ، **and psychology.**

The study concludes that the theme of death in the collection forms an objective network of relationships with several **sub-themes** ،including **sorrow** ، **illness** ،**love** ،**revolution** ،**alienation** ،**and life.**

By analysing these sub-themes and connecting them to the main theme of ***death*** during the construction phase ،the research uncovers aspects of the poet's ***unconscious*** ،reflected in the complexes of ***inferiority*** and ***masochism.***

Keywords: thematics ،poetry ،theme ،death ،main theme ،sub-them

فهرس الموضوعات

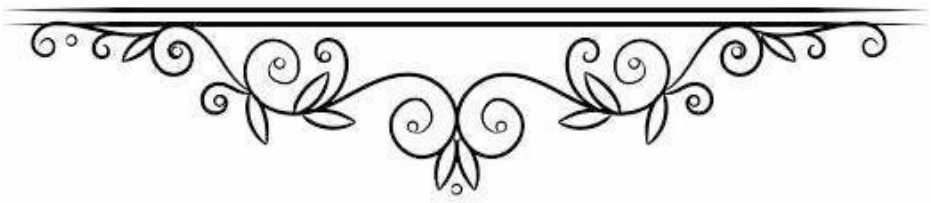

شكــر وعرفــان.....

مقدمة.....**أ-ب**

مدخل

أولا-مفهوم الموضوع لغة واصطلاحا:..... 4

ثانيا-أعلام النقد الموضوعاتي:..... 5

ثالثا-مفاهيم النقد الموضوعاتي:..... 9

رابعا-سيرة أبي القاسم الشابي:.....15

الفَصْلُ الأَوَّل: إحصاء التيمات الغالبة في ديوان أغاني الحياة

المبحث الأول: قصائد العقد الثاني من القرن العشرين (قبل اشتداد مرض الشاعر)....19

المبحث الثاني: قصائد العقد الثالث من القرن العشرين (بعد اشتداد مرضه).....30

المبحث الثالث: التيمة الرئيسية (تيمة الموت).....39

الفَصْلُ الثّاني: التيمات الفرعية وعلاقتها بتيمة الموت

المبحث الأول: التيمات الفرعية وعلاقتها بتيمة الموت 43

المبحث الثاني: سيميائية عنوان الديوان "أغاني الحياة" 78

المبحث الثالث: التركيب والخلاصة 81

خاتمة.....**84**

قائمة المصادر والمراجع.....**87**

ملخص.....**91**

فهرس الموضوعات.....**92**

الحمد لله